



سر أبى الهول

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ محاولة للقتل ..

على الرغم من نحوله، بدا ذلك الرجل شديد المراس، وقد برزت ملامح الصلابة على وجهه.. ولم تستطع تلك العوينات التى يضعها، أن تخفى النظرة الحادة الثاقبة، التى تتجلى فى عينه بوضوح شديد، وهو يغادر سيارته الفارهة، ليدخل ذلك المبنى العتيق، فى إحدى ضواحى (مونتريال) فى (كندا).. وتقدم داخله كشخص يعرف طريقه جيدًا.. أو كمن سبق له التردد على هذا المبنى من قبل.

ولم يكن هناك أحد فى استقباله. بل لم يكن هناك أحد على الإطلاق برغم ضخامة المبنى.

وضغط الرجل زرَّ المصعد، وهو يتطلع إلى ساعته بلا اكتراث .. وبعد لحظات فتح باب المصعد وفى هذه المرة كان هناك شخص ضخم الجثة كثيف الشعر فى استقباله حيث بادره قائلًا:

ـ تفضل يا مسيو (ليون).

دخل (ليون) المصعد باستعلاء دون أن يتبادل كلمة

واحدة مع ذلك العملاق، وقد عاود النظر إلى ساعته مرة أخرى .

وما لبث أن التفت إلى الرجل الضخم قائلًا :

ـ لا أريد الانتظار هذه المرة.. فأمامى أعمال يتعين علىّ ألا أتأخر عن تأديتها .

وابتسم العملاق قائلًا :

ـ اطمئن يا مسيو (ليون).. لن نؤخرك هذه المرة، فمسيو (اكس) لديه هو الآخر أعمال لا يريد أن يتأخر عن تأديتها .

وتوقف المصعد ليقتاده الرجل الضخم عبر ممر طويل، اصطفت على جانبيه أربع حجرات، أدخله إلى واحدة منها تقع فى نهاية الممر .

كان فيها مقعد واحد.. يقع فى مواجهة حاجز زجاجى يرتفع بضعة سنتيمترات فوق طاولة خشبية ممتدة إلى أسفل.. وقد بدا المكان أشبه بصالة أحد البنوك.. وهذا الحاجز هو نافذة الصرف التى يتم من خلالها التعامل بين الموظفين والعملاء

الفارق الوحيد هو أن الحاجز الزجاجى كان بدون فتحات.. ومغطى بطبقة داكنة، تحجب ما يدور خلفه إلى حد كبير ..

وجلس (ليون) على المقعد الوحيد فى الغرفة، أمام الطاولة الخشبية، وفى مواجهة الحاجز الزجاجى .

وبعد دقيقة واحدة من جلوسه.. لمح ذراع أحد الأشخاص يتحرك وراء الحاجز .

ولم يكن يبدو من جسد ذلك الشخص وملامحه أى شىء عدا هذا الذراع، ولقد توقف الرجل أمام المقعد الذى يجلس عليه (ليون)، ليواجهه من خلف الحاجز الداكن قائلًا بصوت أجشّ :

ـ مرحبًا يا (ليون) .

أجابه (ليون) بصوت أقل استعلاءً :

ـ مرحبًا يا مسيو (اكس) .

وقال الرجل المدعو (اكس) :

ـ لقد أودعنا فى حسابك مليون دولار بالأمس .

وحاول (ليون) أن يتكلم لكن (اكس) قاطعه قائلًا :

ـ أعلم.. أعلم أنه ما زال باقيًا لك فى حوزتنا مبالغ أخرى.. راجع حسابك فى البنك فى نهاية الأسبوع، وستجد أننا قد سوينا كل شىء .

ـ المهم الآن أن عملية (أبى الهول) التى سبق أن أوضحناها لك، اقترب موعد تنفيذها .

ستصلك المواد المطلوبة خلال يومين، وبعدها عليك أن تكون جاهزًا فى أى وقت للبدء فى تنفيذ العملية، عندما تصلك منا الأوامر بذلك .

قال (ليون) بثقة :
ـ وأنا جاهز لتنفيذها منذ الآن .
قال (اكس) وقد تعالت سحابة من دخان سيجاره من فوق الحاجز الزجاجى :
ـ وكما هى العادة ستكون مسئولًا وحدك مسئولية كاملة، عن تنفيذ العملية، متحملًا لكافة عواقبها منذ أن تتلقى الأمر بالتنفيذ .. أما نحن فسننفى أى صلة لنا بك، فى حالة الفشل أو اكتشاف أمرك .. أو محاولة إيجاد اتصال بيننا وبينك .
قال (ليون) بنفس النبرة الهادئة الواثقة :
ـ أعرف ذلك جيدًا .. إنها ليست المرة الأولى التى نتعامل فيها معًا .. كما أننى لا أعرف كلمة الفشل .. إنها محذوفة من قاموسى ..فضلًا عن أننى أحافظ دائمًا على أسرار عملائى .
قال صاحب الصوت الأجش وقد برزت يده أسفل الحاجز الزجاجى وبين أصابعه السيجار المشتعل :
ـ حسن .. يمكنك الانصراف الآن .
نهض (ليون) من مقعده، ليستدير بهدوء متجهًا نحو الباب، ليفتحه مغادرًا الحجرة .
وبعد قليل كان قد استقل سيارته الفارهة مرة أخرى، وقد تحرك بها سائقها مبتعدًا عن المبنى .

★ ★ ★

جلس (ممدوح) يتناول عشاءه فى ذلك المطعم الأنيق المطل على خليج (المكسيك)، وهو يراقب من وراء القاعة الزجاجية، ذلك المنظر الطبيعى الساحر للخليج المكسيكى وفجأة اقترب منه المترودتيل قائلًا باحترام وهو ينحنى نصف انحناءة :
ـ آسف يا سيدى إذا كنت أقطع عليك عشاءك .. ولكن هناك مكالمة عاجلة لك .
نظر إليه (ممدوح) فى دهشة قائلًا :
ـ مكالمة لى أنا .
أجابه المترودتيل :
ـ نعم يا سيِّدى .
ابتسم (ممدوح) قائلًا :
ـ ولكن كيف عرفت أنها لى .. وأنا لم أذكر لك اسمى ؟
أجابه المترودتيل :
ـ صاحب المكالمة حدد أوصافك بدقة .. بل حدَّد المائدة التى تجلس عليها أيضًا .
قال (ممدوح) بسخرية، وهو يجفف فمه بمنشفة المائدة :
ـ هل أدخلتم الهاتف المرئى هنا ؟
ثم نهض من مقعده، مغادرًا المائدة، ليسير فى إثر

المترودتيل، الذى قاده إلى كابينة زجاجيـة خاصة بالهاتف .

وأمسك (ممدوح) بسماعة الهاتف قائلًا :

ـ من المتكلم ؟

أجابه صاحب المكالمة متهكمًا :

ـ صديق عزيز يريد أن يقدم لك هدية صغيرة .

• تحركت غريزة الخطر فى نفس (ممدوح).. فأخذ يتلفت حوله ، ونظر أسفل قدميه ثم إلى سطح الكابينة الزجاجية خوفًا من أن يكون هناك شرك قد أعد له داخلها ،.. إذ بدا له من صوت المتحدث ما ينم عن وجود خطر ما يتهدده .. ولكنه لم يعثر على شىء .

وفجأة تحركت ستارة حمراء بين أشجار النخيل التى تواجهه، لتبدو خلفها كابينة زجاجية مماثلة، وقف بداخلها شخص يمسك بسماعة الهاتف.. وباليد الأخرى بندقية آلية يصوّبها تجاه (ممدوح) .

وكان من الواضح أن هذا هو الذى يحادثه تليفونيًا .

ورأى (ممدوح) ابتسامة غادرة على وجه الرجل، فى اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة، لتخترق الجدار الزجاجى للكابينة دون أن تحدث صوتًا .

وفى أقل من الثانية كان (ممدوح) قد ألقى بنفسه على

أرضية الكابينة، حيث مرت الرصاصة فوق رأسه تمامًا، لتستقر فى الجدار المقابل .

وتكوم (ممدوح) على أرضية الكابينة الضيقة وهو يمد يده داخل سترته بحثًا عن مسدسه .

كان الموقف قد أصبح فى غاية الصعوبة بالنسبة له.. فغريمه يملك بندقية آلية مزودة بكاتم للصوت.. وهو مصمم على قتله، وأرضية كابينة التليفون الضيقة لن تصلح كساتر يحميه فى مواجهة غريمه، كما أن مسدسه ليس كافيًا للتصدى لهذه المواجهة.. وهو راقد على الأرض هكذا .

وكان الجزء السفلى من باب الكابينة خشبيًا وهو ما استغله (ممدوح) فى إخفاء نفسه .

لكنه كان يعرف جيدًا أنه إخفاء غير جيد، فبضع طلقات تخترق هذا الجزء الخشبى من بندقية الرجل، كانت كفيلة بإحداث عدة ثقوب فى جسده .

وكان عليه أن يجذب انتباه عدوه بعيدًا عنه، حتى يتمكن من استخدام مسدسه ضده .

ولكن كيف يفعل ذلك فى هذا المكان الضيق، الذى يبدو فيه عاريًا من جميع الجهات، بهذه الجدران الزجاجية، التى لا تخفى شيئًا بداخلها ؟

وقرَّر (ممدوح) أن يلجأ إلى أية وسيلة مهما كانت نسبة نجاحها ضئيلة، فهو واثق من أن لعدوه أعوان داخل ذلك المكان، وهم بلا شك الذين سهلوا له نصب هذا الكمين .

كما أنه يريد قتله دون جلبة .. لذا فهو يعتمد على تلك البندقية الآلية المزودة بكاتم الصوت .. حتى لا يثير انتباه رواد المطعم، والذين كانوا يبعدون عن كابينة التليفون ببضعة أمتار فحسب .

إذن فوسيلة (ممدوح) هى إحداث بعض الصخب لكى يفسد على غريمه ما يهدف إليه من ميتة صامتة .

واستلقى (ممدوح) على ظهره وهو يصوب مسدسه إلى سطح الكابينة الزجاجية، وأطلق ثلاث رصاصات متتالية ليهشم بها السطح الزجاجى وقد أغمض عينيه ليتفادى شظايا الزجاج التى تناثرت على وجهه وجسده .

وأثارت الطلقات الثلاث حالة من الهلع بين رواد المطعم، فتعالى الصياح، واندفعوا يركضون فى اتجاهات مختلفة، وقد أفزعهم صوت الرصاص ونجح ذلك بالفعل فى إرباك غريم (ممدوح)، الذى وقف للحظات واجمًا، وهو يحاول إخفاء بندقيته الآلية ، وقد تدافع رواد المطعم أمامه ليحجبوا عنه كابينة التليفون الأخرى ..

وكانت هذه اللحظات القليلة هى كل ما يحتاجه

(ممدوح) .. إذ دفع باب الكابينة وهو راقد على الأرض، ومن بين الأرجل المتزاحمة أمامه أطلق رصاصة محكمة التصويب استقرت فى ساق غريمه .. فهوى على الأرض وهو يصرخ من شدة الألم، وقد سقطت البندقية من يده ..

وكان (ممدوح) حريصًا كل الحرص على ألا يصاب أحد من الأبرياء، فى هذا الصراع الدائر بينه وبين ذلك القاتل الأجير .

ولكن من بين هؤلاء الأبرياء .. لاحظ شخصًا يعرفه جيدًا، وهو يتحرك بخطوات سريعة ثابتة فى اتجاه سيارته .

وازدادت حالة الهرج والمرج إثر إطلاق (ممدوح) لتلك الرصاصة التى أصابت الرجل .. فانتهز هو هذه الفرصة، ليندفع وسط الفوضى التى عمت المكان، محاولًا اللحاق بسيارة ذلك الشخص ..

وعندما وصل إلى موقع السيارة، كان صاحبها قد انطلق بها فى أقصى سرعة، وثب (ممدوح) داخل أقرب سيارة إليه .. ومن حسن حظه أن صاحبها كان قد غادرها لتوه وترك مفاتيحها بداخلها .. حيث أفزعه صوت إطلاق الرصاص، فصرفه عن الاهتمام بأخذ المفاتيح

وأدار (ممدوح) محرك السيارة لينطلق بدوره فى إثر سيارة غريمه محاولًا اللحاق بها .

ولاحظ الرجل الذى يقود السيارة أن (ممدوح) يطارده فزاد من سرعة سيارته، فى حين استمر (ممدوح) فى مطاردته، وهو يتخطى بعض السيارات الأخرى أمامه بطريقة بهلوانية، حتى تمكن من اللحاق بسيارة خصمه تقريبًا، وأصبحت المسافة بينهما لا تتجاوز الثلاثة أمتار .

وعند أحد المنحدرات الجبلية استطاع (ممدوح) أن يتفادى كافة محاولات غريمه لإعاقة سيارته عن اللحاق به، حتى تمكن من أن يجاورها .

وكانت سيارة (ممدوح) هى المحاذية لحافة الجبل.. فى حين كانت سيارة غريمه فى محاذاة جدار صخرى منحدر .

ووجد خصمه فى ذلك فرصة رائعة للتخلص منه.. فعمد إلى مصادمة الجانب الأيسر لسيارته محاولًا دفعها من فوق المنحدر الجبلى، وأراد (ممدوح) أن يتخطاه ليقطع عليه الطريق.. ولكنه لم يتمكن من ذلك، فقد كانت سيارة غريمه أكثر سرعة وقوة، على نحو مكنها من أن تتجاوزه بمسافة نصف متر.. وبقى محتفظًا بهذه المسافة دون أن يمكن (ممدوح) من تجاوزها، وفى نفس الوقت استمر فى مصادمة الجانب الأيسر للسيارة، التى تحاول

أن تلاحقه، وجاءت إحدى هذه الصدمات من القوة بحيث أخلت بتوازن سيارة (ممدوح) وجعلت عجلاتها اليمنى تدور فى الهواء .

وفى اللحظة التالية، كانت السيارة التى يستقلها (ممدوح)، تهوى من فوق المنحدر الجبلى فى طريقها إلى القاع.. وقد أخذت فى طريقها للهاوية تصطدم بالكتل الصخرية المدببة للجبل .

ثم انفجرت ..

وبدوى هائل ..





٢ ـ مهمة فى (مونتريال) ..

أدرك (ممدوح) أن بقاءه فى السيارة التى يستقلها، يعرضه حتمًا للخطر، وخاصة عندما رأى الجانب الأيمن منها معلقًا فى الهواء، وتبين له حجم الكارثة التى تنتظره .

لذا فقد سارع بالتخلى عن عجلة القيادة، وفتح الباب الأيسر للسيارة قافزًا منها، ليتشبث بإطار النافذة الخلفية للسيارة التى تصادمه، وفى اللحظة التى كانت فيها السيارة تتهاوى إلى القاع، كان (ممدوح) قد تعلق بذلك الإطار لنافذة السيارة الأخرى، غير عابئ بسرعتها وبارتطام جسده بهيكلها المعدنى، وهى تندفع فوق الطريق الأسفلتى .

ولكن أيا كان حجم المخاطرة التى يتعرض لها، وهو يواجه الخطر على هذا النحو .. فإنها كانت أفضل له بكثير من تحول جسده إلى أشلاء، فوق ذلك المنحدر الجبلى .

ورآه خصمه متعلقًا بالنافذة الخلفية لسيارته على هذا النحو .. فعمد إلى زيادة سرعة سيارته، محاولًا الإطاحة به فوق الطريق الأسفلتى أو من فوق المنحدر الجبلى .

ولكن (ممدوح) كان خصمًا عنيدًا، فقد تشبث بإطار النافذة بكل قوة .. حتى لا يلقى ذلك المصير الذى يريده له خصمه .

وفى اللحظة المناسبة، تخلى عن إطار النافذة .. ولكن ليقفز داخلها واثبًا فوق المقعد الخلفى للسيارة .

وعندما تبين لغريمه أنه قد أصبح بالداخل امتدت يده داخل تابلوه السيارة محاولًا التقاط مسدسه .

وكان (ممدوح) يحاول الاعتدال فى جلسته وهو يبحث عن مسدسه بدوره، ولكن تبين له أنه قد سقط منه فى أثناء وثبته نحو سيارة غريمه، وتعلقه بإطار نافذتها ..وأنه أصبح مجردًا من السلاح .

لذا فقد امتدت يده سريعًا لتقبض على معصم غريمه، قبل أن يخرج يده القابضة على المسدس من تابلوه السيارة .

وشدَّد من القبض على المعصم، محاولًا منعه من إخراج المسدس وتصويبه فى اتجاهه .

ودار صراع أقوى بين الرجلين، انطلقت خلاله رصاصة من مسدس غريمه، اخترقت تابلوه السيارة .

ولكن (ممدوح) كان قد نجح فى القفز إلى المقعد الأمامى، وقد احتفظ بيده مطبقة على معصم الرجل..

وما لبث أن دفع بذراعه إلى أعلى كتفه جاعلًا فوهة المسدس مصوبة فى اتجاه المقعد الخلفى .

وانطلقت رصاصة طائشة أخرى، لتستقر فى المقعد الخلفى. فى أثناء هذا الصراع العنيف، فى حين أفلتت عجلة القيادة من يد غريمه فى هذا الصراع .. فاختلّ توازن السيارة، ليفاجأ (ممدوح) وخصمه بها، تندفع تجاه الجدار الصخرى المجاور للطريق الأسفلتى .

ومرة أخرى وبما يتميز به من سرعة بديهة وخفة حركة، فتح (ممدوح) باب السيارة الجانبى ليجتذب معه خصمه من داخلها، ملقيًا به وبنفسه على الأرض .

واحتضنه وهو يتدحرج على الأرض الأسفلتية بعيدًا عن السيارة، وتركها تواصل طريقها لتصطدم بالجدار الصخرى.. وتلقى مصير السيارة الأخرى، حيث أدى اصطدامها العنيف بالكتل الصخرية المدببة إلى انفجارها بدورها، محدثة دويًا هائلًا على الطريق .

وعندما أفاق الرجل من الصدمة، وهو يتحسس الكدمات والإصابات التى لحقت به، من أثر سقطته من السيارة، وتدحرجه على الأرض على هذا النحو، وجد (ممدوح) وقد اقتنص المسدس من يده، ليصوبه إلى رأسه وهو يلهث، وقد سالت الدماء منه أيضًا إثر هذا السقوط العنيف على الأرض الأسفلتية ، قائلًا :



واحتضنه وهو يتدحرج على الأرض الأسفلتية بعيدًا عن السيارة ..

- أعتقد أنه يتعين علينا أن نتوقف عند هذا الحد يا مستر (جورج).. فكما ترى لقد جئت إلى (المكسيك).. مصممًا على إلقاء القبض عليك، جزاءً لما ارتكبته من جرائم فى بلادى، ومحاولات اغتيالى أو الهرب لن تفيد.

ومن بعيد دوت صفارات سيارات الشرطة المكسيكية قادمة على الطريق.

فابتسم (ممدوح) وهو يمسح الدماء التى سالت من فمه قائلًا:

- أعتقد أننا لن نجد مشكلة بالنسبة لوسائل النقل.

وفى مقر إدارة الأمن العام المكسيكية، استقبل مدير الأمن العام (ممدوح) فى مكتبه، قائلًا:

- لقد سوَّينا الأمر يا سنيور (ممدوح).. وسيتولى (الأنتربول) مهمة تسليم ذلك المجرم الخطير (جورج أندرسون) إلى بلادك، للمثول أمام المحاكم المصرية، ومحاكمته عما ارتكبه من جرائم فى بلادكم، قبل أن يأتى هاربًا إلى (المكسيك).

قال (ممدوح) وقد بدت على وجهه ملامح الارتياح:

- أشكركم على تلك المساعدة القيمة.

قال مدير الأمن العام وهو يدعوه إلى الجلوس:

- فى الحقيقة أننا لم نقدم أى مساعدة حقيقية، فقد

توليت الأمر بنفسك منذ البداية، وأسهمت فى القبض على ذلك المجرم الخطير، دون أن تشركنا فى الأمر، ولو أن هذا قد أثار بعض التحفظ من جانبنا.. فلابد فى تلك الأمور من إطلاعنا على المهام الرسمية من ذلك النوع.. على الأقل لكى نقوم بالتعاون فيما بيننا، ولولا العلاقات الطيبة التى تربط (مصر) و (المكسيك)، وتدخل السفير المصرى فى اللحظة الأخيرة، لكان الأمر قد سوى بطريقة مختلفة، وقمنا باتخاذ إجراءات أخرى فى هذا الشأن.

(ممدوح):

- آسف لعدم إخطاركم بالأمر.. ولكن فى الحقيقة لم تكن المعلومات التى لدينا مؤكدة بشأن وجود (جورج) فى (المكسيك).

وصمت برهة قبل أن يستطرد:

- هناك شىء آخر.. بالنسبة لتلك السيارة، التى اضطررت لاستخدامها فى مطاردة ذلك المجرم الخطير، والتى كانت تخص أحد المواطنين المكسيكيين وتحطمت فوق الصخور الجبلية.. لقد اتصلت بالسفير المصرى هنا فى (المكسيك)، وسوف تقوم الحكومة المصرية بتعويض ذلك المواطن عن الضرر الذى لحق به، وشراء سيارة جديدة مماثلة لسيارته التى تحطمت، وتقديمها له على نفقتها الخاصة.. المهم أن المهمة قد نجحت.. نجحت تمامًا..

★ ★ ★

ظل (ممدوح) جالسًا فى سيارته لمدة دقيقتين وهو يراقب مبنى إدارة العمليات الخاصة ، بعد عودته إلى (القاهرة) من (المكسيك) ..

ذلك المبنى الذى يعشقه .. ويعشق عمله فيه ..

إنه سعيد بعودته إلى (القاهرة) .. وسعيد أكثر بعودته إلى المكتب رقم (١٩) الذى تلقى تدريبه فيه منذ أن كان ضابطًا صغيرًا ، واكتسب من خلاله صفات وخبرات لم يكن ليتعلمها فى أى مكان آخر .

وغادر سيارته بعد هذه الفترة القصيرة من التأمل ، ليدخل إلى المبنى .. وبعد قليل ، كان يطرق باب حجرة مدير الإدارة اللواء (مراد) .

ودلف إلى الداخل ، حيث استقبله اللواء (مراد) كالعادة بترحاب شديد وهو يدعوه إلى الجلوس .

وأطفأ جهاز التلفاز الموضوع أمام مكتبه ..ثم عاد ليجلس أمام المكتب ، وهو يبتسم قائلًا (لممدوح) .

ـ أهنئك على نجاحك فى إلقاء القبض على (جورج اندرسون) .. لقد كان سجله الإجرامى حافلًا فى (مصر) .. وكان لابد من الاستعانة بشخص مثلك لإغلاق هذا السجل .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ كانت معركة حامية الوطيس .

نظر اللواء (مراد) إلى وجهه قائلًا :

ـ أرى آثارها واضحة على وجهك .

وصمت برهة قبل أن يستطرد :

ـ أأنت مستعد للقيام بمهمة جديدة ؟

أجابه (ممدوح) على الفور :

ـ إننى على أتم استعداد يا فندم .

قلب اللواء (مراد) صفحات أحد الملفات أمامه وهو يقول :

ـ حسن .. لقد جئت إلينا من (أمريكا الجنوبية) بعد أدائك لمهمتك السابقة .. وهذه المرة ستعود إلى الجانب الشمالى من (أمريكا) .. وأعنى بذلك (كندا) .

ابتسم (ممدح) قائلًا بمرح :

ـ إذن .: يتعين على أن أبدأ فى إعداد ملابسى الشتوية .

تناول اللواء (مراد) شريط تسجيل من مكتبه ، ليضعه فى جهاز التسجيل الموضوع فوق المكتب ، قائلًا :

ـ إن لدينا عملاءنا فى (كندا) ، كما أن لدى أعدائنا عملاءهم أيضًا .. كما أننا نراقب سفارة الدولة المعادية هناك ، بنفس القدر الذى يعملون به على مراقبة سفاراتنا .

إنها لعبة المخابرات التى تدور فى كل مكان كما تعلم .. ومهمتنا أن نحمى أنفسنا من الخطر ، الذى يمكن أن تتعرض له بلادنا .. قبل وقوعه لو استطعنا ذلك .

الخطر الذى يمكن أن تمثله هذه الدولة المعادية، وجهاز المخابرات الخاص بها. والذى يتحرك بهمة ونشاط فى عدد من بلدان العالم، ومن بين أحد مراكزه الرئيسية مدينة (مونتريال) فى (كندا).

سأله (ممدوح):

- أهذه العملية محولة إلينا من المخابرات المصرية؟

أجابه اللواء (مراد):

- نعم.. لقد رصدت المخابرات المصرية أحد الأبنية التى تستخدمها مخابرات (أسترتان)، لممارسة نشاطها، ولما كانت بحاجة إلى معرفة فحوى هذا النشاط.. فقد كلفت المخابرات المصرية أحد عملائها بالتسلل بطريقة سرية إلى داخل المبنى، ودسَّ بعض أجهزة التصنت فى أماكن متفرقة منه.

وبفضل هذه الأجهزة، حصلت المخابرات المصرية على شريط تسجيل، سجلت عليه محادثة بين شخص يعمل فى مخابرات (أسترتان)، ويشار إليه. برمز مستر (اكس)، وشخص آخر يعد من الشخصيات الغامضة التى تحوم حولها الشبهات، ويدعى (جان ليون) وهو كندى من أصل فرنسى ويمكن أن تضعه فى مصاف أصحاب الملايين.. برغم ما هو معروف عنه من أنه شخص منطو غير اجتماعى.

المهم أن هذه المحادثة وإن كانت قصيرة وموجزة.. إلا أنها أثارت القلق والاهتمام داخل أروقة المخابرات المصرية.

وقد تم ترتيب اجتماع سرى وخاص، بينى وبين مدير المخابرات، حيث استمعت إلى التسجيل.. وانتهى اللقاء بأنهم يرغبون فى الاستعانة بك كما فى المرات السابقة، لتنفيذ هذه المهمة، التى تتعلق بالأمن القومى المصرى، والتى تستدعى سفرك إلى (كندا) خلال اليومين القادمين.

قال (ممدوح) فى جدية:

- يسعدنى أن يكون لى دور، فى حماية الأمن القومى المصرى.

اللواء (مراد):

- حسن.. والآن نستمع إلى الشريط.

إدار اللواء (مراد) جهاز التسجيل حيث استمع معه (ممدوح) إلى الحوار الذى دار بين (ليون) و (اكس) فى ذلك المبنى العتيق فى (مونتريال).

وما إن انتهى الحوار، حتى أغلق اللواء (مراد) الجهاز وهو ينظر إلى (ممدوح) قائلًا:

- ما رأيك؟

(ممدوح):

- من الواضح أنه هناك صلة ما، تربط بين الرجلين..

ولكننى فى الواقع لم أفهم شيئا محدودًا من الحوار الذى دار فى الشريط .

اللواء (مراد) :

ـ وهذا ما حدث لى أيضًا عندما استمعت إلى الشريط لأول مرة .. لكن مدير المخابرات المصرية أوضح لى أنه كانت توجد لديهم معلومات مسبقة ، عن عملية تستهدف الإضرار بالأمن القومى المصرى ، تم الإعداد لها بوساطة المخابرات الأسترتانية ، وتسمى باسم شفرى هو (أبو الهول) .

أما طبيعة هذه العملية ، أو الهدف منها ، أو الوسائل التى ستستخدم فى تنفيذها .. فهذا هو الشىء الذى لم تتوصل له المخابرات المصرية .. حيث يبدو أن هذه العملية قد أحيطت بالسرية التامة والكتمان الشديد ؛ لذا فإنه عندما التقطت أجهزة تسجيل المخابرات المصرية هذا الاسم الشفرى ، خلال الحديث الذى دار بين (اكس) ، وهو مسئول المخابرات الأسترتانية فى (مونتريال) ، وبين (جان ليون) ؛ أثار هذا قلق المسئولين فى المخابرات .

إذ أن هذا يعنى أن تلك العملية قد بدأت تدخل فى طور التنفيذ .. وأن هذا الشخص المدعو (جان ليون) ، قد تولى مسئولية تنفيذ هذه العملية .. سواء كان هذا الشخص يعمل لحساب المخابرات الأسترتانية بطريقة مباشرة ، أم لحساب نفسه .

(ممدوح) :

ـ إذن فالمشكلة التى تواجهنا الآن ، تنحصر فى وجود عملية مجهولة تستهدف الإضرار بالأمن القومى المصرى .. لا يدرى عنها المسئولون شيئًا .. وإن كانوا يستشعرون خطورتها .

وهذه العملية سيبدأ تنفيذها خلال الأيام القادمة ، بوساطة هذا المليونير الغامض المدعو (جان ليون) دون أن نعرف كيف سيتم ذلك ؟ والوسائل التى ستستخدم فى تنفيذها ؟ والنتائج التى ستترتب عليها ؟

اللواء (مراد) :

ـ تمامًا .

استطرد (ممدوح) قائلًا :

ـ والمهمة التى سأكلف إياها ، هى تحديد الهدف من عملية (أبى الهول) . ثم العمل على إفسادها ، ومنع تنفيذها بما يمكن أن يضر بأمن (مصر) .

اللواء (مراد) :

ـ لقد وفرت علىّ عناء الشرح .

ونهض من فوق مقعده ليتجه إلى جهاز (البروجكتور) الموجود فى الحجرة (جهاز تثبيت الصور المكبرة على شاشة سينمائية صغيرة) ، فأداره بعد أن أطفأ أنوار

الحجرة، ليعرض على (ممدوح) عدة لقطات مكبرة لوجه (جان ليون).. وعدد من اللقطات الأخرى له وهو يغادر سيارته.. وفى أثناء دخوله إلى المبنى القديم فى (مونتريال)..ودخوله لأحد النوادى الأرستقراطية هناك قائلًا :

ـ هذا هو خصمك.. وهو خصم كما أخبرتك محاط بالكثير من الغموض، وبالكثير أيضًا من الإشاعات حول مصدر ثروته، والأشخاص الذين يتعامل معهم ويقال إن لديه مجموعة لا بأس بها من القتلة المأجورين ورجال العصابات الذين يعملون على حمايته ولحسابه الخاص .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ حسن.. هذا يضفى على مهمتى بعضًا من الإثارة التى أفضلها .

اللواء (مراد) :

ـ أرجو أن تكون أكثر حرصًا، ولا تستهن بخصمك .

(ممدوح) :

ـ أطمئن يا فندم.. إننى لا أستهين أبدًا بخصومى .

ونظر إلى الصورة المكبرة لوجه (جان ليون) قائلًا :

ـ خاصة إذا كانوا من طراز هذا الشخص .

اللواء (مراد) :

ـ حسن.. كن مستعدًا للسفر إلى (كندا) صباح الغد.. ولا تنسى أن تحصل على المعدات اللازمة لك فى أدائك لمهمتك، من الإدارة الفنية .

نهض (ممدوح) قائلًا :

ـ سأكون فى المطار منذ الساعات الأولى من الصباح .

صافحه اللواء (مراد) قائلًا :

ـ صحبتك السلامة.. سنتحدث فى التفاصيل هذه الليلة، وغدًا تبدأ مهمتك.. مهمة البحث عن عملية (أبى الهول) .

* * *



٣ ـ اتفاق الموت ..

تناول (ممدوح) منظارًا مكبِّرًا ، وأخذ يراقب من خلاله (جان ليون) ، الذى كان جالسًا فى الصفوف الأولى حول حلبة الملاكمة ، يشاهد إحدى المباريـات الخـاصة بالمحترفين بين ملاكم كندى وآخر أمريكى .

ولم يكن هناك أى تعبير على وجه (ليون) .. فقد كان يتابع المباراة دون أن يبدى أى انفعال أو حماس تجاه أحد الملاكمين ، برغم أنه راهن بمائة ألف دولار على الملاكم الأمريكى .

وبدا من نهاية الجولة السادسة أنه يعرف كيف يستثمر أمواله وأن هذا الرهان لم يكن عشوائيًا وإنمـا سبقتـه دراسة وخبرة ، جعلته يراهن على الملاكم الفائز .

ففى نهاية هذه الجولة كان الملاكم الأمريكى ، قد أجهز على الملاكم الكندى بالضربة القاضية ، برغم تفوق الأخير الواضح فى الجولات الثلاث الأولى .

وما إن انتهت المباراة ، حتى غادر (ليون) مقعده ، فى حين توجه أحد رجاله إلى شباك المراهنات لتسلُّم قيمة الرهان .

وكان لـ(ممدوح) رأى آخر فى النتيجة التى انتهت إليها المباراة .. إذ رأى أن هذه الهزيمة كانت متعمدة ، وأن الملاكم الكندى بدا مستسلمًا تمامًا فى الجولات الثلاث الأخيرة عن عمد لتنتهى المباراة إلى ما انتهت إليه .. وهذا يعنى أن هناك اتفاقًا أو ترتيبًا مسبقًا لذلك .

فـ(ممدوح) كان ملاكمًا سابقًا ، وله خبرته فى هذا المجال .

وفى مكتب المراهنات الذى قام بتنظيم المباراة استقبلت إحدى الفتيات (ممدوح) بحفاوة ، عندما أخبرها إنه قادم من طرف (جان ليون) .. ودعته إلى أحد الصالونـات قائلة :

ـ ثوان قليلة .. وسأخطر مستر (كارنجتون) .

جلس (ممدوح) واضعًا ساقًا على أخرى ، وهو يراقب المكان حوله ، حتى فتح باب الغرفة ، وأخبرته الفتاة أن مستر (كارنجتون) فى انتظاره .

ودخل (ممدوح) ليجد رجلًا فى الخمسينات من العمر ، وقد اكتسى رأسه بالشيب ، وإن بدت ملامحه فتية وتتميز بالصلابة .

وقال له الرجل وهو يدعوه إلى الجلوس :

ـ هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. مسيو (ليون) يريد الاتفاق معكم على المباراة القادمة .

تفرس الرجل فى وجهه لبرهة من الوقت، قبل أن يقول :

ـ إية مباراة ؟.. وأى اتفاق ؟

(ممدوح) :

ـ مباراة الملاكمة التى سيتم تنظيمها بعد ثلاثة أسابيع، بين الملاكم المكسيكى والملاكم الكندى المرشح لبطولة الاتحاد .

قال الرجل وهو يضغط مخارج الألفاظ :

ـ هل تعنى أنه يريد أن يراهن على أحد الطرفين ؟

(ممدوح) :

ـ بل يريد أن تحدد له منذ الآن الملاكم الفائز .. حتى يراهن عليه .

حك الرجل حاجبيه بأظفاره قائلًا :

ـ ولكن هذا غش .. ونحن لا نلجأ للغش فى معاملاتنا .

قال (ممدوح) بهدوء :

ـ مستر (كارنجتون) لقد أخبرتك أننى قادم إليك من طرف مسيو (ليون)، فليس هناك ما يدعو إلى هذه المناورة، والتظاهر أمامى بنظافة اليد ..

قال (كارنجتون) بانفعال :

ـ اسمع أيها الرجل لست أعرف من تكون .. لكن أيًا كنت، فسوف تغادر هذا المكان الآن، وإلا أتيت بمن يلقى بك خارجًا .

قال (ممدوح) بصوت هادئ النبرات دون أن يفارق مكانه :

ـ لا أنصحك بهذا الانفعال الزائد .. فلقد تحريت عن تاريخك الطبى، وأعرف أن قلبك غير سليم تمامًا .. وذلك بنفس القدر الذى أعرف به أنه قد تم ترتيب النتيجة التى انتهت إليها مباراة الملاكمة، بين ذلك الملاكم الأمريكى والكندى منذ ثلاثة أيام .

وأن خسارة الملاكم الكندى قد تم الاتفاق عليها مسبقًا، لصالح مجموعة من المراهنين المحدودين ولصالح هذا المكتب، ولصالح كلا الملاكمين أيضًا .

تراجع (كارنجتون) فى مقعده وهو يعود للتفرس فى وجه (ممدوح) قائلًا :

ـ إن المعرفة الزائدة عن الحد، قد تضر بصاحبها يا عزيزى .

(ممدوح) :

ـ ربما .. وربما تعود بفوائد جمة على صاحبها .

(م ٣ ـ المكتب رقم ١٩ (٦٤) س أبو الهول)

سدد إليه (كارنجتون) سبَّابته قائلًا :

ـ إنك لم تأت من طرف (ليون).. من أنت؟ وماذا تريد؟

قال (ممدوح) بنفس النبرة الهادئة :

ـ شخص توافرت له بعض المعلومات، ويريد الاستفادة منها .

(كارنجتون) :

ـ ماذا تعنى ؟

(ممدوح) :

ـ أريد أن أعرف الفائز، حتى يمكننى المراهنة عليه .

(كارنجتون) :

ـ وإذا افترضنا أن ما تقوله صحيح.. ولم أقدم لك اسم الملاكم الفائز، فماذا ستفعل ؟

(ممدوح) :

ـ لا شيء، عدا أننى سأخطر الشرطة الفيدرالية الكندية، بحقيقة ما يدور فى الخفاء هنا، وأسلوب الغش الذى يستخدمه مكتبكم المحترم .

(كارنجتون) :

ـ إنك لا تملك أى دليل على أى شيء لتقدمه للشرطة الفيدرالية .

(ممدوح) :

ـ تخطئ لو تصورت يا عزيزى.. فما كان لى أن آتى إلى هنا.. وأساومك على هذا النحو، لو لم يكن لدىّ أدلة قوية، على وسائل الغش والتدليس، التى يستخدمها هذا المكتب... وتأكد أننى سأظهرها فى الوقت المناسب، لو لم نتفاهم معًا .

حدجه (كارنجتون) بنظراته الفاحصة.. ثم نهض من خلف مكتبه قائلًا :

ـ حسن.. انتظر هنا، وسأعود إليك بالمعلومات المطلوبة .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ يسعدنى أن تبدى هذا القدر من الفهم والتعاون يا مستر (كارنجتون) .

دخل (كارنجتون) إحدى الحجرات الأخرى، حيث تناول سماعة الهاتف ليجرى اتصالًا، وقال للشخص الذى أجابه من الطرف الآخر :

ـ أريد أن أحادث مسيو (جان).. قل له (كارنجتون) .

وبعد لحظات سمع صوت (ليون) يأتيه قائلًا :

ـ ماذا تريد يا (كارنجتون) :

(كارنجتون) :

ـ لدى هنا الآن شخص ادعى فى البداية أنه على صلة

بك .. ثم تبين أنه يعرف الكثير من الأسرار ، عما يدور فى مكتب المراهنات ، وهو يريد أن يستخدم تلك المعلومات ، كوسيلة للابتزاز ، والمراهنة على المباراة القادمة .

(ليون) :

ـ أهو من رجال الشرطة ؟

(كارنجتون) :

ـ أعتقد ذلك .. ولكن يدهشنى الطريقة التى حصل بها على تلك الترتيبات التى نجريها برغم الاحتياطات والسرية التى نستخدمها هنا ، إن هذا الرجل يشكل خطرًا حقيقيًا علينا .

(ليون) :

ـ إذن .. فماذا تنتظر ؟ أنت تعرف الإجراءات التى يتعين عليك أن تتبعها فى هذا الشأن .

(كارنجتون) :

ـ حسن .. يا مسيو (ليون) سأقوم باتخاذ اللازم .

عاد (كارنجتون) إلى حجرة مكتبه ، حيث كان يجلس (ممدوح) قائلًا له :

ـ لقد تحدثت مع شركائى .. ووافقوا على التفاهم معك .. ولكننا لم ننته من ترتيب الأمر . بشأن الفائز فى المباراة القادمة بعد .

عد إلينا غدًا ، وسوف أخبرك بما انتهينا إليه .

نهض (ممدوح) قائلًا :

ـ حسن .. سأعتبر هذا اتفاقًا بيننا .

أسند (كارنجتون) رأسه إلى مسند المقعد الجالس عليه ، قائلًا :

ـ نعم يمكنك أن تعتبره كذلك .

غادر (ممدوح) الحجرة ، تتبعه نظرات (كارنجتون) ، وابتسامة صفراء قاسية ، تظلل وجهه وهو يقول :

ـ إنه اتفاق مع الموت أيها المتطفل الدخيل .

وكان (ممدوح) يدرك جيدًا ، أنه قد تم ترتيب الأمر لقتله والتخلص منه .. وأن ما قاله له (كارنجتون) بشأن الاتفاق مع شركائه على التعامل معه اتفاق وهمى ، ولا ينطلى على طفل صغير .

ولكن هذا هو ما كان يهدف إليه .. أن يلفت نظرهم إليه ، وأن يستثيرهم ضده ، فضلًا عن كشف إحدى الطرق التى يلجأ إليها (ليون) لتنمية ثروته .

لابد أن (كارنجتون) هذا .. سيخبر (ليون) ، باللقاء الذى تم بينه وبين (ممدوح) .. وربما أثار هذا اهتمام (ليون) فأرسل بمن يحاول تقصى الأمر عنه .. وسيكون هذا الشخص نفسه هو الطعم الذى سيستخدمه فى اصطياد (ليون) .

وما إن غادر (ممدوح) المبنى متجهًا إلى (الكاراج) الذى ترك فيه سيارته، حتى وجد باب (الكاراج) يغلق فجأة محدثًا صريرًا عاليًا .

ونظر حوله فلم يجد أحدًا .. سوى الصمت الذى يلف المكان، ولكنه صمت ينذر بالخطر، وينبئ بالشر .. ذلك الخطر الذى أحس به يترصده .

ولم تخنه غريزته المدربة هذه المرة أيضًا .. إذ سرعان ما برز له ثلاثة أشخاص ضخام الجثة وقد أمسك كل منهم بعصًا خشبية غليظة، وهم يحيطون به ولمح (ممدوح) فى إحدى تلك العصىّ سنونًا مدببة، من النوع المخصص لتحطيم الرءوس .

وبرغم خطورة الموقف، إلا أن (ممدوح) احتفظ برباطة جأشه، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أهلًا بكم أيها الأصدقاء الأعزاء .. لقد كنت أتوقع حضوركم .. ولكن ليس بهذه السرعة .. ألا يمكن أن تؤجل العراك لما بعد .

لكن أحد الأشخاص تقدم نحوه سريعًا، ليرفع عصاه إلى أعلى مسددًا بها ضربة قوية إلى رأس (ممدوح) . الذى تفادى الضربة بمهارة، وهو ينتحى جانبًا فى حين نزلت

العصا الغليظة على سقف إحدى السيارات خلفه فتركت أثرًا شديدًا فى السقف المعدنى .

وقال (ممدوح) للرجل الذى سدد إليه الضربة :

ـ حسنًا .. ما دمتم تصرون على أن نبدأ المعركة الآن .. فلا يسعنى سوى أن ألبى رغباتكم .

وانقضّ بدوره عليهم ..

وبدأت المعركة .

★ ★ ★





تحرَّك بسرعة البرق واجتذب الرجل الذى أصابه فى ساقه من سترته فى اتجاهه ، ليتلقى ضربتى العصا بدلاً منه ..

٤ - الشريك السرى ..

سدَّد (ممدوح) ركلة قوية إلى ساق الشخص الذى هاجمه، فى حين كان الشخصان الآخران يرفعان عصويهما إلى أعلى فى توقيت واحد، وهما يهمان بتوجيه ضربات قوية إلى جسده، ولكن (ممدوح) تحرَّك بسرعة البرق واجتذب الرجل الذى أصابه فى ساقه من سترته فى اتجاهه، ليتلقى ضربتى العصا بدلًا منه .. ليهوى على الأرض دون حراك .

بينما تدحرج هو على الأرض دحرجة سريعة ليدخل أسفل إحدى السيارات الواقفة فى (الكراج) .

ومدَّ أحد الشخصين يده أسفل السيارة ليجذبه من تحتها .. فأشعل (ممدوح) قداحته الخاصة ، التى امتد منها شريط طويل من اللهب، يصل إلى عشرين سنتيمترًا صوَّبه إلى يده فأحرقها وقد أطلق صرخة مدوية من شدة الألم .

وانتهز (ممدوح) الفرصة ليجذبه من قديمه، فيوقعه أرضًا .. وسقطت العصا من يده الأخرى .. حيث أسرع بتناولها .. مسدِّدًا بها ضربة أخرى قوية، إلى ساق الرجل

الآخر، الذى يحمل العصا ذات الأسنة المدببة، والذى كان قد اقترب بدوره من السيارة، محاولًا إخراج (ممدوح) من أسفلها .

وجثا الرجل على ركبتيه متألمًا بشدة .

ولكنه سارع بالوقوف متحاملًا على نفسه فى اللحظة التى كان فيها (ممدوح) يخرج من أسفل السيارة .

ورأى (ممدوح) الرجل، يرفع عصاه المسننة .. ليهوى بها على وجهه، فصدّها بالعصا الخشبية الأخرى التى استخلصها من غريمه الآخر .

وغرزت سنون العصا المدببة التى سددها الرجل إلى (ممدوح) فى العصا الخشبية التى يحملها الأخير .

وحاول (ممدوح) أن يجتذب عصاه من الأسنة التى غرزت فيها .. لكن خصمه اجتذبها من يده بقوته غير العادية وعصاه الأشد صلابة، ليصبح بها بعيدًا .

وقبل أن يتأهب (ممدوح) لمواجهته، وقد جرد من السلاح الوحيد فى يده .. كان الرجل قد انهال عليه بعصاه، محاولًا أن ينال من جانبه الأيمن .

فابتعد بقدر المستطاع عن تلك العصا القاتلة، لكن أسنتها مست ذراعه اليمنى، فأحدثت به بعض الجروح بعد أن مزقت كم سترته .

وعاد الرجل ليرفع عصاه عاليًا ،متأهبًا لتحطيم رأس (ممدوح) هذه المرة .

ولكن (ممدوح) وثب عاليًا فى الهواء، وقد فرد ساقه إلى أقصى اتساعها، مسددًا ركلة قوية إلى ساعد الرجل، فى أثناء رفعه للعصا، جعلته يتراجع إلى الوراء، وقد اجتذب العصا إلى الخلف إثر ركلة (ممدوح) القوية .. لكنه بقى محتفظًا بعصاه .

وفى تلك اللحظة كان الشخص الآخر، الذى أحرق (ممدوح) يده بلهيب قداحته، قد نهض من الأرض، وقد احتقن وجهه بلهيب الغضب والرغبة فى الانتقام من (ممدوح)، فاستل خنجرة .. وتقدم نحوه من الخلف ليغرزه فى ظهره .. فى نفس الوقت الذى استعاد فيه الخصم الذى يواجه (ممدوح) توازنه، وعاود رفع العصا لأعلى وهو يحاصر ليهوى بها على رأسه .

وبرغم المواجهة الشرسة بين (ممدوح) وخصمه القوى، ذى العصا ذات الأسنة .. إلا أن ذلك لم يجعله يغفل عن كل ما يدور حوله، فى ميدان المعركة التى يخوضها .

فلمح فى المرآة الجانبية الصغيرة للسيارة التى تجاوره، الشخص الآخر وهو يتأهب لطعنه بخنجره .

وبرشاقة وخفة النمر، دار (ممدوح) حول نفسه فى

استدارة سريعة، ليسدد ركلة من ركلاته القوية، إلى اليد المطبقة على الخنجر فأطاح به فى الهواء، وقبل أن يتمالك الرجل نفسه من وقع المفاجأة، وثب (ممدوح) بين ساقيه ليرفعه عاليًا فوق كتفيه، مطيحًا به فى الهواء.. فى نفس اللحظة التى كان فيها غريمه الآخر يهوى بعصاه المسننة على جسد (ممدوح).

وجاءت الضربة الحادة، لتصطدم بجسد الرجل الآخر وهو معلق فى الهواء.. وقد انغرست أسنة العصا الغليظة فى وجهه، محدثة به إصابات جسيمة، جعلت الرجل يصرخ صرخة أشد دويًا من التى أطلقها من قبل.

ونظر الرجل إلى زميله مشدوهًا، وهو يرى أسنة عصاه المدببة، منغرسة فى وجهه، فى حين انتهز (ممدوح) تأثير المفاجأة عليه، ليسدد له لكمة قوية، جعلته يترنح إلى الخلف.

وقبل أن يتمالك نفسه، عاجله (ممدوح) بوابل من اللكمات المتتالية، جعلته يجثو على ركبتيه، ليتسقر فى النهاية على الأرض فاقدًا الوعى تمامًا.

وانتزع (ممدوح) سترة أحدهم ليستبدل بها سترته الممزقة كما انتزع مسدسًا صغيرًا كان يخفيه آخر قائلًا:

- آسف فإننى مضطر أن أستدين منكم هذه الأشياء نظرًا للظروف الطارئة التى اضطررتمونى إليها..

ثم استقل سيارته، ليندفع بها خارج (الكراج)، حيث توقف قليلًا وقام بإغلاق بابه المعدنى على الرجال الثلاثة، من الخارج.. تاركًا اثنين منهما فاقدى الوعى، وآخر يلعق جراحه.

وعاد مرة أخرى إلى مكتب المراهنات.. حيث استقبلته السكرتيرة التى استقبلته من قبل وهى تنهض من وراء مكتبها.

ولكن قبل أن تنطق بشىء قال لها (ممدوح) وهو يندفع فى اتجاه باب حجرة المكتب الخاصة (بكارنجتون):

- هذه المرة لا أريد منك أن تتجشمى مشقة إبلاغه بحضورى، فسوف أتولى ذلك بنفسى.

وقبل أن تحاول الفتاة منعه. كان قد اقتحم الغرفة مغلقًا بابها خلفه، وهو يشهر مسدسه فى وجه (كارنجتون)، الذى نظر إليه بذهول، وقد هزته المفاجأة، وقال له (ممدوح) بلهجة حازمة:

- آسف يا مستر (كارنجتون)، ولكن يبدو أن حديثنا القصير لم يستكمل بعد، خاصة وقد سارعت بإلغاء اتفاقك معى.

تمالك (كارنجتون) نفسه، بعد أن تغلب على تأثير المفاجأة قائلًا:

- ما معنى هذا ؟

(ممدوح) :

ـ معناه أنك قد غدرت بى بأسرع مما أتوقع .

حاول (كارنجتون) أن يضغط زرًا موضوعًا أمام مكتبه .. ولكن (ممدوح) قال له محذرًا :

ـ تأكد أننى سأطيح بيدك بطلقة واحدة من هذا المسدس، قبل أن تلمس أصبعك ذلك الزِّر .

وأحدث التحذير أثره فى نفس (كارنجتون)، الذى أبعد يده عن الزر قائلًا :

ـ إننى لا أفهم شيئًا مما تقوله .

(ممدوح) :

ـ قلت لك من قبل، إنه لا داعى للمناورة معى .. إن محاولة التخلص منى ليست بالسهولة التى تتصورها .. وإذا أردت أن تتأكد من ذلك، يمكنك أن تذهب إلى (الكراج) المجاور لهذا المبنى، ولا تنس أن تصحب معك طبيبًا، وسيارة إسعاف .. فسوف تجد أولئك الرجال الذين أرسلتهم لقتلى، فى حالة سيئة للغاية، بعد أن اضطررت إلى تلقينهم درسًا صغيرًا، لن ينسوه طوال حياتهم .

قال (كارنجتون) بغضب بعد أن أدرك فشل رجاله فى التخلص من (ممدوح) :

ـ قل لى ماذا تريد الآن ؟

(ممدوح) :

ـ لا شىء .. أريد فقط أن أحدث عدة ثقوب فى رأسك جزاء على ما اقترفته من غدر معى .

(كارنجتون) :

ـ إنك لن تجرؤ على أن تفعل ذلك .. فصوت إطلاق الرصاص سيجذب إليك موظفى المكتب، ولن يتنازلوا عن قتلك أو تسليمك للشرطة .

(ممدوح) :

ـ هل تراهننى على ذلك ؟ إن موظفيك يعرفون ما يدور هنا .. لذا لا أعتقد أنهم سيقحمون رجال الشرطة فى ذلك، حتى لو انتهى الأمر بجريمة قتل، كما أننى أستطيع الهرب من أى مكان .. حتى لو كان من تلك النافذة المفتوحة وراءك، وبرغم الطوابق الأربعة التى تفصلنا عن سطح الأرض .

وصوب مسدسه فى اتجاه رأس (كارنجتون) قائلًا :

ـ والآن وداعًا يا عزيزى (كارنجتون) .. وأتمنى أن تلقى جزاءك فى الآخرة، بأسوأ مما لاقيته فى الدنيا .

صرخ (كارنجتون) قائلًا :

ـ أرجوك دعك من هذا الجنون، وأبعد هذا المسدس .

(ممدوح) :

ـ إننى لست مجنونًا، فأنا أعى جيدًا ما أفعله.. وأنا مصمم على قتلك .

قال له (كارنجتون) وقد بدأت ملامح الخوف والضعف ترتسم على وجهه :

ـ إننى سأجعلك تراهن على الملاكم الفائز.. سأحقق لك كل ما تريده .

(ممدوح) :

ـ ما أريده هو معرفة دور (جان ليون) هنا .

(كارنجتون) :

ـ (ليون) ليس سوى مراهن يتعامل مع مكتبنا بصورة دائمة .

حرك (ممدوح) أصبعه على الزناد قائلًا :

ـ أرأيت هأنتذا تحاول الكذب علىّ.. إذن فأنت تستحق أن تذهب إلى الجحيم.. وسوف أرسلك إليه .

أشار له (كارنجتون) بيده قائلًا :

ـ لا .. لا أرجوك.. (جان ليون) شريك فى إدارة هذا المكتب.

ثم قال مستسلمًا :

ـ نعم شريك بالنصيب الأكبر.. ولكنه شريك مستتر، لا يعلم بأمره أحد .

(ممدوح) :

ـ شريك ويعمل على تزوير نتائج المباريات.. ثم يراهن لحساب نفسه، ويحصل فى النهاية على الأرباح كاملة، بصفته مراهنًا وشريكًا.. ياله من محتال !

(كارنجتون) :

ـ لو علم (ليون) أننى أخبرتك بذلك فسيقتلنى..

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ اطمئن سيكون مشغولًا عنك لفترة من الوقت بمعركته معى .

ثم أردف قائلًا :

ـ استدر .

تردد (كارنجتون) قليلًا، وهو يتساءل عما ينوى (ممدوح) أن يفعل به.. لكنه ما لبث أن رضخ واستدار موليًا له ظهره .

وسدد له (ممدوح) ضربة قوية بمؤخرة مسدسه على رأسه، فهوى مغشيًا عليه، وراقبه (ممدوح) وهو مسجى على الأرض قائلًا :

ـ هذا سيضمن لى أن أغادر المبنى بهدوء دون ضجة.. على الأقل لفترة من الوقت.

وعندما غادر حجرة (كارنجتون)، التفت إلى سكرتيرته الحسناء قائلًا :

- مستر (كارنجتون) سيجرى بعض المحادثات التليفونية، ولا يريد إزعاجًا خلال الساعات القادمة .

نظرت إليه السكرتيرة باستغراب، فى حين اقترب هو منها وانحنى على المكتب قائلًا :

- هل تعرفين أنك جميلة جدًا ؟ وتستحقين أن توجه لك دعوة للغداء ؟

أعتقد أننى سآتى يومًا، لأصحبك لتناول الغداء معى.. فما أجمل أن يتناول المرء طعامه وأمامه وجه جميل كهذا .

وغادر المكان فى هدوء مثير .

★ ★ ★



٥ ـ مقبرة الموت ..

جلس (ممدوح) على المقعد الرخامى يراقب القارب البخارى، وهو يقترب من مرسى النهر .

وبعد دقائق قليلة، توقف القارب بالقرب من المرسى، حيث غادره شخصان أحدهما (جان ليون) بجسده النحيل وملامح وجهه الصلبة، والآخر عملاق أسود يناهز طوله المترين .

واقترب (ممدوح) من (ليون) ليقطع عليه الطريق قائلًا :

- أعتقد أنك (جان ليون) أليس كذلك ؟

نظر إليه (ليون) ببرود دون أن يجيب.. ثم هم بمواصلة طريقه.. لكن (ممدوح) اعترضه مرة أخرى قائلًا :

- إنك مدين لى بخمسمائة دولار .

قال له (ليون) بخشونة هذه المرة :

- اسمع أيها الرجل.. إننى لا أعرفك.. ولا أحب أن أراك تعترض طريقى على هذا النحو .

(ممدوح) :

ـ ومع ذلك.. فإننى مصمم على أن أحصل منك على الخمسمائة دولار، التى أدينك بها .

(ليون) :

ـ هل أنت مخبول؟ أية دولاراتٍ هذه التى أدين لك بها.. إننى لا أعرفك .

وشمر العملاق الأسود عن ساعده قائلًا :

ـ دعه لى.. فأنا أعرف كيف أتعامل مع أمثال هؤلاء المخبولين .

ولكن (ممدوح) سارع بالقول :

ـ لا أعتقد أنك تريد أن تلتفت إليك الأنظار.. أو تجعل نفسك موضع اهتمام رجال الشرطة النهرية، خاصة عندما يعرفون أنك تدير مكتبًا للمراهنات بطريقة سرية، وتراهن من خلاله لحسابك، مستخدمًا فى ذلك وسائل للغش والاحتيال .

بدا الاهتمام على وجه (ليون) لأول مرة، وهو يستوقف العملاق الأسود بإشارة من يده .

ثم قال له بنبرة هادئة وإن كانت تنطوى على شىء من الحدة :

ـ لست أدرى.. أية خزعبلات هذه التى ترددها ؟

(ممدوح) :

ـ أنت تعرف جيدًا أنها ليست خزعبلات.. كما تعرف أنك نصاب كبير .

(ليون) :

ـ اسمع أيها الشاب.. لقد بدأ صبرى ينفد.. إن لم تبتعد عن طريقى الآن، فسوف أستدعى لك الشرطة وأتهمك بالتعدى علىّ .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

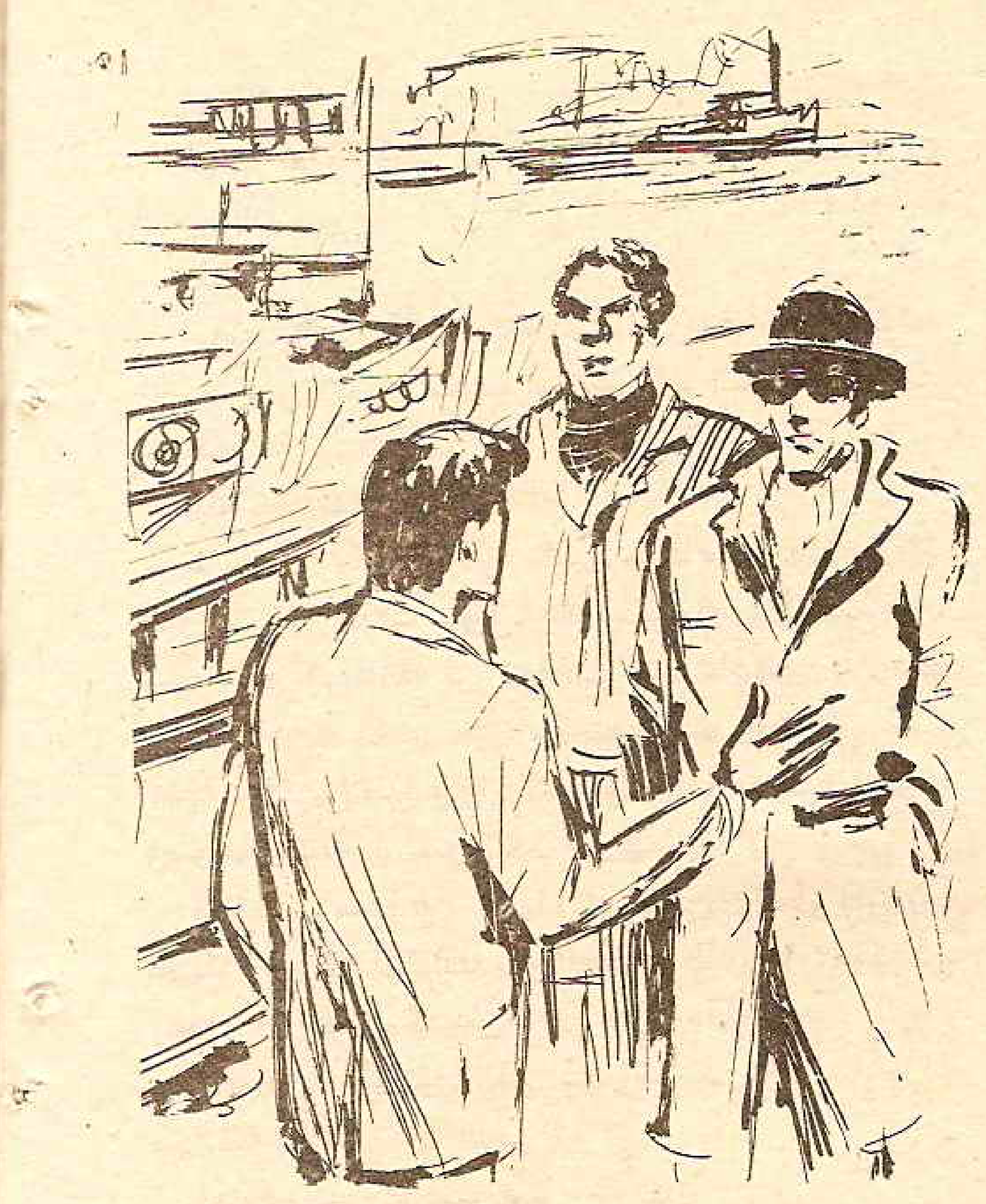
ـ حسن.. سأبتعد الآن.. ليس خوفًا منك، ولا من تلك الغوريلا التى تتبعك.. ولا خوفًا أيضًا من رجال الشرطة، التى أعلم جيدًا أنك لن تستطيع استدعاءها، لأن ذلك سيجلب عليك الكثير من المتاعب، التى أنت فى غنى عنها، ولكن لأننى واثق أنه سيكون بيننا لقاء آخر.. وسوف يمكننا أن نسوى حسابنا فيما بعد .

وانتحى (ممدوح) جانبًا، فى حين واصل (ليون) طريقه، وخلفه ذلك العملاق الأسود، الذى ظل يحدق فى (ممدوح) بعينين تقدحان شررًا قبل أن يقول :

ـ لماذا لم تتركنى ألقن ذلك الصعلوك درسًا جزاء محادثته لك على هذا النحو ؟

أجابه (ليون) بخشونة :

ـ هناك أشياء أهم، يتعين علينا أن نوليها رعايتنا ،



ابتسم (ممدوح) قائلاً : ــ حسن .. سأبتعد الآن .. ليس خوفًا منك ، ولا من تلك الغوريلا التى تتبعك ..

أكثر من استعراض عضلاتك فى مكان عام كهذا المكان أيها الغبى . خاصة بالنسبة لشخص يتوافر له كل هذا القدر من المعلومات .

فتح العملاق باب السيارة التى كانت فى انتظارهما ، ليركب (ليون) فى المقعد الخلفى وهو يتمتم قائلًا :

ـ وإن كانت هناك وسائل أخرى، لتلقين أمثال هذا المتطفل دروسًا .. ربما لن يعيش طويلًا ليتعلم منها شيئًا .

وفى مساء تلك الليلة، كان (ممدوح) يتربص بالقرب من إحدى الحدائق، حينما أحس بخطوات تتبعه .

فتوقف عن السير برهة من الوقت، فتوقفت هذه الخطوات .. ثم عاود السير مرة أخرى، لتلتقط أذناه صوت هذه الخطوات وهى تسير فى إثره ..

وأدرك (ممدوح) أنه مراقب، فاستغل الظلام الذى يلف المكان، ليحتمى بإحدى الأشجار، وهو يراقب ذلك الشخص الذى يتبعه .

ولمح أحد الأشخاص يتلفت بحثًا عنه، و كان قد أسرع الخطى ليحتمى بهذه الشجرة .

وما إن اقترب من الشجرة التى يختفى وراءها

(ممدوح)، حتى جذبه الأخير من سترته ليجعله فى مواجهته.. ثم انهال عليه بلكمة قوية، جعلت الرجل يترنح . لكن قبل أن يهم بتسديد لكمة أخرى إلى فك الرجل.. كان قد تلقى ضربة قوية على رأسه، جعلته على الأرض فاقدًا الوعى .

وظهر العملاق الأسود الذى كان يتبع (ليون) خلفه، بعد أن سدد له هذه الضربة التى أفقدته وعيه .

وقال للرجل الآخر بصوت كالفحيح :

ـ هيا أسرع بإحضار سيارتك إلى هنا، لكى نضع فيها هذا الوغد، دون أن يلحظنا أحد .

أسرع الرجل الذى كان قد استعاد توازنه بعد اللكمة التى تلقاها من (ممدوح)، بإحضار سيارة سوداء صغيرة كانت تقف بالقرب من الحديقة، إلى المكان الذى يقف فيه العملاق الأسود، حيث حمله الأخير بين يديه، ليلقى به فى المقعد الخلفى، وهو يجلس إلى جواره.. فى حين قاد الرجل الآخر السيارة، مبتعدا بها عن المكان .

ولم يدر (ممدوح) كم من الوقت مر عليه وهو غائب عن الوعى، لكن حين أفاق أخيرًا وجد نفسه فى مكان مظلم رطب وضيق .

وحاول أن يقف على قدميه، لكنه لم يستطع.. فلم يكن ارتفاع المكان يسمح له بذلك.. فاكتفى بالجلوس على أرض ترابية خشنة .

وفجأة ترامى إليه من بعيد صوت (ليون) وهو يقول له :

ـ مرحبًا بك فى قبرك أيها المتطفل.. من سوء حظك أننى لا أحب المتطفلين من أمثالك.. وما كان يتعين عليك أن تضع نفسك فى طريقى، وتقحم نفسك فى أعمالى الخاصة.. فهذا جعلنى أحكم عليك بالموت .

أتدرى ما هى الوسيلة التى ستموت بها ؟.. انظر إلى سقف القبر الذى تجلس فيه، وستجد فجوة كبيرة تفتح فى هذا السقف، ثم يتدفق منها أطنان من التراب بكميات غزيرة تكفى لدفنك.. وبعد أن يغطيك التراب تمامًا ستغلق هذه الفجوة، وبذلك نوفر مصاريف الدفن المكلفة.. ولن تحتاج لوسائل نقل ومعزين إلى آخر هذه الإجراءات .

أرأيت كم أنا حريص على تسهيل الأمور بالنسبة لك.. وضمان ميتة سريعة ؟

أحس (ممدوح) بقلق شديد لما سمعه.. فأخذ يزحف على الأرض، وهو يتحسس الجدران والسقف، بحثًا عن مخرج من هذا القبر الذى ينوون دفنه فيه .

وفجأة انفتح السقف فوق رأسه، كاشفًا فجوة كبيرة كما وعد (ليون)، تنهال منها كميات ضخمة من الأتربة.. تكفى بالفعل لردم المكان، ووجد (ممدوح) الذى أخذ يسعل بشدة من كميات الأتربة التى أخذت تنهال عليه نفسه، وقد أصبح مغطى بالتراب حتى منتصف صدره.

إنه فى طريقه لكى يدفن بالفعل فى هذه المقبرة.. وعليه أن يقاوم هذا المصير المفزع الذى ينتظره.

فبسط ذراعيه إلى أعلى، لكى يتعلق بحافتى الفجوة المفتوحة برغم الأتربة المنهالة عليه.. ربما ينجح فى رفع جسده عاليًا لكى ينفذ من هذه الفجوة إلى أعلى... وإن كانت الأتربة التى تنصب عليه، تأتى من مكان أكثر ارتفاعًا من الفجوة المفتوحة فى سقف هذه المقبرة، وكان من الصعب مقاومة تدفقها، ولكن حتى هذه المحاولة اليائسة لم تنجح.. إذ تبين لـ(ممدوح) أن حافة الفجوة رخوة.. وسرعان ما انهارت تحت ثقل يديه، وهو يتشبث بها محاولًا رفع جسده إلى أعلى.

وعاد (ممدوح) ليتهاوى بين أطنان الأتربة، التى ارتفعت لتغطى صدره بالكامل وإن ظل حريصًا على أن يُبقى يديه مرتفعة إلى أعلى.

ودفع جسده بقوة ليقاوم ثقل الأتربة التى أحاطت به،

وهو يتحرك جانبًا، حتى تمكن من أن ينشب أظفاره فى أحد الجدران التى تمسك بها بقوة، ومد يده وسط الأتربة التى أحاطت بجسده، ليدفعها بصعوبة داخل جيب سترته، حيث تمكن من إخراج لفافة صغيرة، محاطة بورق السوليفان، وكأنها سيجار كوبى من الحجم الكبير.

وبصعوبة أشد استطاع إخراج يده من بين الكتل الترابية، وبها هذه اللفافة الصغيرة، والتى كانت فى الواقع أصبع ديناميت.. كان يحتفظ به لمواجهة مثل هذه المواقف العصيبة.

ونزع ورقة السوليفان سريعًا، وقد ارتفعت الأتربة إلى كتفيه ليتناول منها أصبع الديناميت، الذى كان مزودًا بفتيل صغير فى نهايته.

كانت الجدران مؤلفة من كتل حجرية ضخمة، مركبة فوق بعضها ومتلاصقة وفى إحدى الفتحات الصغيرة التى تفصل بين كتلتى الحجر اللتين تشبث بهما (ممدوح) وضع إصبع الديناميت.

ثم استخدم ساعة يده التى تم تجهيزها بطريقة خاصة، ليطلق منها شررًا صغيرًا أشعل به فتيل الديناميت.

كان الأمر منطويًا على مخاطرة كبيرة.. فمن الممكن أن يؤدى انفجار الديناميت إلى انهيار المكان بالكامل

على (ممدوح) ليعجل بنهايته.. كما أنه من الممكن أن يؤدى إلى فتح طريق له بين هذه الجدران الحجرية يمكنه من الهرب من هذه المقبرة .

كلا الاحتمالين كان قائمًا ..ولكن لم يكن أمام(ممدوح) الكثير من الوقت ليقارن بين الاحتمالات، ويحسب النتائج.. كان عليه أن يتصرف سريعًا لمواجهة هذا الموقف العصيب الذى يهدد حياته .

إذ كان عليه إما أن يواجه موتًا بطيئًا ، وهو يغوص بين هذه الأتربة التى تنصب فوق رأسه ، أو يواجه موتًا سريعًا بانهيار المكان كله عليه فيعجل بدفنه.. أو يجعل الله له مخرجًا.. فيجد أمامه فجوة تسمح له بالهرب .

وحتى لو كان المصير الذى ينتظره هو الموت السريع وانهيار هذه المقبرة فوق رأسه ، فهو يفضل ذلك.. عن انتظار الموت البطىء، والاستسلام للدفن على هذا النحو .

ومرت الثوانى وكأنها دهور على (ممدوح).. وكان عليه أن يحمى وجهه وذراعيه من انفجار الديناميت ، فعمد إلى دفع رأسه بين الأتربة هذه المرة ، ليخفى وجهه بينها بملء إرادته هذه المرة ، وقبل أن تغطيه ، كما أحتفظ بيديه أسفل طبقة الأتربة .

كان التراب قد اخترق أذنيه وأنفه.. ولولا إغماضة لعينيه لاخترقهما أيضًا ، وأصبحت قدرته على التنفس ضئيلة .

ولكنه تحامل على نفسه ، ولم ييأس.. فتمسكه بالحياة كان أقوى .

ووصل الشرر إلى أصبع الديناميت ، بعد أن اخترق الفتيل بالكامل.. وتناهى إلى سمع (ممدوح) الذى ضعف نتيجة امتلاء أذنيه بالتراب ، صوت انفجار الديناميت.. وشىء يشبه الانهيار .

بل هو انهيار ..

انهيار تام .

★ ★ ★



٦ـ محاولة انتحارية ..

تطايرت الأتربة فى كل مكان، لتصنع سحابة كثيفة.. وازداد سعال (ممدوح)، حتى أحس بأنه يكاد يختنق، ولكن هذا الشعور ـ فى حد ذاته ـ يعنى أنه ما زال حيًا .. لم يقض عليه انفجار الديناميت بعد .

وبرغم أن الموقف ما زال فى غاية الخطورة بالنسبة له .. وشبح الموت الذى يهدده لم يفارقه بعد .. إلا إنه كان فرحًا لأنه ما زال على قيد الحياة .. وازداد فرحًا عندما رأى تلك الفجوة، التى خلفها انفجار الديناميت فى الصخرة.. فقد فتحت له هذه الفجوة طريقًا للأمل .

فقد حمته هذه الكمية الهائلة من الأتربة من آثار الانفجار، الذى أحدثه الديناميت فى الصخر .. إذ أن شظايا الانفجار والأحجار، لم تجد منفذًا كبيرًا لها وسط هذه الأتربة، لكى تؤدى إلى نتائج مدمرة .

وكل ما أحدثته بالاضافة إلى هذه الفتحة الكبيرة فى الحجر الضخم، هو سحابة كثيفة من الأتربة، وشظايا رفيعة تناثرت حوله، ولكنها لم تكن تساوى بالنسبة له شيئًا لو أدى الانفجار إلى انهيار المكان كله فوقه، وتحول

جسده إلى أشلاء، وهو قريب إلى هذه الدرجة أصبع الديناميت، الذى لولا الأتربة التى كان يغوص فيها لأنفجرت شظاياه فى جسده .. ولولا دفنه لوجهه فى التراب لأطاح الانفجار بعنقه ..

وشق (ممدوح) لنفسه طريقًا وسط هذا البحر من الأتربة، ليقذف بنفسه داخل الفتحة الصخرية، وهو يزحف على الأرض بحثًا عن طريق الخلاص .

كان الأمل حتى هذه اللحظة ضئيلًا .. فما زالت الأتربة تنهال داخل هذه المقبرة وإذا كان (ممدوح) قد استطاع أن يحصل لنفسه على منفذ مؤقت يحميه من هذا الفيضان الترابى .. إلا أنه لو لم يتمكن من النفاذ إلى سطح الأرض، فإن كل ما فعله يصبح عديم الفائدة .

إذ سرعان ما يسد هذا الفيض الترابى تلك الفتحة الصخرية فى الجدار، ليختنق (ممدوح) وراء كتلة من الحجر بدلًا من اختناق أنفاسه بتلك الأتربة التى تنهال على المكان .

والحل الوحيد بالنسبة له، هو أن يجد لنفسه طريقًا يبعده عن هذه المقبرة تمامًا .

وأخذ (ممدوح) يتحسس كل شىء حوله أملًا فى العثور على هذا المنفذ .. وتحسس الجدار المختفى وراء هذه الكتلة الحجرية فوجده رطبًا .. وأقل صلابة وتمنى لو أنه

معه أصبع آخر من الديناميت .. فربما مكنه ذلك من اختراق ذلك الجدار الآخر .. وربما وجد حريته خلفه .. ولكن مع الأسف لم يكن يحمل معه سوى أصبع واحد من الديناميت .

وتحسس السقف فوق رأسه فوجده لينًا وأكثر رطوبة .

ولو أنه فقط يملك جاروفًا لربما استطاع أن يشق لنفسه طريقًا فى هذا السقف اللين ..

وتذكر فجأة .. أن معه شيئًا أكثر فاعلية من ذلك .

وأخذ يعبث فى الجيوب السرية لسترته وهو يأمل أن يكون ما زال محتفظًا بهذا الشيء ..

وسرعان ما وجده ..

إنه مفتاح صغير فى حجم قداحة السجائر .. ولكنه يعمل على ضخ الهواء بقوة برغم صغر حجمه ، وبمجرد الضغط على أحد الأزرار ، التى تدير محرِّكه الضئيل ، فيقوم بنفخ بالون من نوع خاص حتى يتضخم ويبلغ أقصى درجة له قبل أن ينفجر .

وقام (ممدوح) بوضع فتحة المضخة المتصلة بالبالون الصغير فى السقف اللين ثم أدار موتوره حيث أخذ البالون فى الانتفاخ تدريجيًا .. وما لبث أن وصل إلى أقصى مداه

قبل أن ينفجر مطيحًا بجزء من سطح المكان ، فاستخدم يديه وأقصى ما لديه من قوة ، لتوسيع الفجوة التى تخلفت عن الانفجار ، إلى أن وصل إلى الأجزاء الصلبة منه ، فتعلق به رافعًا جسده إلى أعلى ، ووقف على حافة السطح الصلب وهو يأمل ألا تطأ قدماه جزءًا رخوًا آخر منه فيجد نفسه وقد انزلق إلى أسفل مرة أخرى .

وتطلَّع (ممدوح) حوله وإلى أعلى ، فرأى بقعة ضوئية تغمر المكان .. ثم ما لبث أن اكتشف أنه داخل بئر قديمة مهجورة ، جفَّ ماؤها منذ فترة لا بأس بها ، وهذا ما جعل جزءًا من قاعه وجدرانه رطبًا ورخوًا .

وعاد لينظر إلى أعلى مرة أخرى .. كانت المسافة بينه وبين سطح الأرض مازالت بعيدة ، وتصل إلى حوالى مترين ونصف .

وأخذ (ممدوح) يصرخ طالبًا النجدة دون أن يجد صدى لصراخه ، وظل على هذه الحال ، حتى بدأ الظلام يرخى سدوله .. واستمر ينادى على من يسمع نداءه يساعده على الخروج من هذه البئر المهجورة دون جدوى .. إذ ظل صوته يتردد بين جنبات البئر دون استجابة .

وبينما هو مستمر فى ندائه ، وجد شعاعًا من الضوء ينفذ إلى داخل البئر ، وصوتًا نسائيًا ينادى قائلًا :



وأخذ (ممدوح) يصرخ طالبًا النجدة دون أن يجد صدى لصراخه ، وظل على هذه الحال ، حتى بدأ الظلام يرخى سدوله ..

- هل يوجد أحدٌ هناك ؟.

أحيا هذا الصوت الأمل فى نفس (ممدوح) ، الذى تهلل وجهه بالفرحة ، وهو يقول :

- نعم .. إننى حبيس فى قاع البئر ، وبحاجة إلى مساعدة .

سأله الصوت النسائى ، وصاحبته تسلط ضوء مصابحها على جسده :

- ولكن ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

(ممدوح) :

- أرجوك .. ليس هذا هو وقت طرح الأسئلة .. حاولى أن تساعدينى على الخروج من هذا البئر أوَّلًا .

ردت قائلة :

- انتظر .. سأحاول العثور على حبل يكفى لصعودك من البئر .

(ممدوح) :

- أرجوك أن تسرعى .. فقد بلغ بى التعب قدرًا كبيرًا .. فضلًا عن أننى لم أتناول أى طعام أو شراب منذ الصباح وأعتقد أننى على وشك الغياب عن الوعى ..

قالت مرة أخرى :

- سأبذل أقصى جهدى .

وبعد مرور عشر دقائق، مرت على (ممدوح) وكأنها عشر ساعات .. عادت الفتاة لتسلط شعاع مصباحها على البئر قائلة :

ـ لقد اضطررت إلى ربط حبلين ببعضهما، حتى يكفى للوصول إليك .

قال لها (ممدوح) بصوت أصابه الوهن :

ـ حسن .. أسرعى بإلقائه لى .

ردت قائلة :

ـ انتظر حتى أثبته جيدًا فى سور البئر .. ثم أدلى به إليك .

وأدلت الفتاة بالحبل قائلة :

ـ حسن .. الآن يمكنك أن تستخدمه فى الصعود .

رأى (ممدوح) الحبل يتدلّى على جدار البئر بوساطة الشعاع الضوئى الذى سلطته الفتاة عليه .

وكان على مسافة نصف متر منه ..

ولكن لم يكن هذا ليعوقه بعد كل ما تعرض له .. فى هذا القبر، وبعد أن رأى الموت قريبًا منه، وهو يكاد يدفن فى التراب .

فوثبة واحدة متقنة كانت كافية لتجاوز هذا النصف متر والتعلق بالحبل .. كل ما كان يخشاه هو أن جسده قد وصل إلى درجة من الوهن بسبب الجوع والجهد المضنى الذى بذله، فلا يقوى على مواصلة الصعود إلى أعلى، والتشبث بالحبل بطريقة جيدة، ولكن إذا كان جسده قد تعرض لحالة من الضعف .. فإن عزيمته القوية لم تضعف بعد .

وتحرك (ممدوح) فوق حافة الفجوة التى أحدثها فى قاع البئر، متجهًا صوب الحبل المدلى، ولكن ما كاد يخطو خطوتين إلى الأمام، حتى وجد إحدى قدميه تهوى إلى أسفل، وقد انهار جزء من حافة الفجوة، كان رخوًا ولينًا تحت ثقل قدميه .

فتراجع سريعًا بجزعه مرتكزًا على قدم واحدة، وهو يحاول الحفاظ على توازنه .. وقدمه الأخرى معلقة فى الهواء .

وبصعوبة تمكن من الوقوف على قدميه مرة أخرى، فوق الجزء الصلب من حافة الفجوة .

ولم يعد يستطيع أن يتقدم خطوة أخرى إلى الأمام، بعد انهيار جزء كبير من الحافة .. وبذلك ازداد الأمر صعوبة بالنسبة له .. فقد أصبحت هناك مسافة تفصل بينه وبين المكان الذى يتدلى فوقه الحبل .. كما أن هناك مسافة تفصل بينه وبين ارتفاع الحبل نفسه .. وعليه أن يتجاوز المسافتين .

ولم يعد أمامه سوى أن يقدم على محاولة انتحارية .. وأن يقفز من مكانه إلى الأمام وإلى أعلى فى آن واحد، للتعلق بنهاية الحبل المدلى .

محاولة قد تعرضه للسقوط وكسر ساقيه ... أو تهيِّئ له طريقًا إلى النجاة .

ولكن هل ستساعده لياقته وجسده الذى أنهكه التعب، على النجاح فى هذه المحاولة التى تحتاج إلى لياقة كاملة، يفتقدها فى هذه اللحظة ؟

ولم يعد أمامه مجال للتردد... فليس هناك وسيلة أخرى سوى الإقدام على هذه المحاولة الجريئة .

ووثب (ممدوح) وثبة قوية فى اتجاه الحبل المدلّى، فاردًا ذراعيه إلى أعلى ، وأصبح الفارق بين الحياة والموت يتمثّل فى لحظة ..

لحظة واحدة .

* * *



٧ - المفاجأة ..

تعلقت أصابع (ممدوح) بالحبل، الذى أخذ يتأرجح به يمينًا وشمالًا .. لكنه تمسك به بقوة، وقد وجد فيه طريقه إلى الخلاص .

وانتظر قليلًا حتى توقف الحبل عن التأرجح، ثم أخذ يستخدمه فى الصعود إلى أعلى، حتى وصل إلى سور البئر .

وساعدته الفتاة على تسلق السور .. قائلة :

- لقد كُتب لك عمر جديد .. فهذه المنطقة شبه مهجورة، ومن حسن حظك أننى مرّرت من هنا، وسمعت صوت استغاثتك .

ولم يقل (ممدوح) شيئًا، إذ وقف يلتقط أنفاسه، وهو يتأمل المكان حوله، وكأنه لا يصدق أنه صعد مرة أخرى على وجه الأرض .

وسألته الفتاة قائلة :

- ولكنك لم تقل .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟ وما كل هذه الأتربة التى تغطى وجهك وثيابك ؟.. إنك تبدو وكأنك خارج لتوك من قبر .

ابتسم قائلًا :

ـ أنك لم تبتعدى عن الحقيقة كثيرًا .. على كلَ سأشرح لك فيما بعد .. أما الآن فأنا جائع ومرهق .. وبحاجة ماسة لحمام دافئ أزيل به كل هذه الأتربة، التى تجعلنى فى مظهر سيِّئ أمام فتاة جميلة مثلك .

قالت وهى تشير لسيارتها :

ـ إننى أمتلك منزلًا صغيرًا على بعد خمسة كيلومترات من هنا، به كافة التجهيزات .. سأحملك إليه .. هيًا اتبعنى .

وتحركت فى اتجاه السيارة، ولكن (ممدوح) استوقفها قائلًا :

ـ لا أدرى كيف أشكرك .. ولكننى أعتقد أن العناية الإلهية قد أرسلتك إلىّ فى الوقت المناسب تمامًا .

ابتسمت قائلة :

ـ إنك لا تدرى كم أنا سعيدة لتمكنى من مساعدتك على هذا النحو .. لقد كنت أشعر منذ عدة ساعات بالسأم والضجر .. وتمنيت أن يحدث أى شىء غير عادى يخلصنى من هذا السأم، ويشبع رغبتى فى حب المغامرة .. وها قد استجابت لى السماء .. وعثرت عليك فى هذا المكان لأسهم فى إنقاذك .

ولدىَ إحساس خفى، بأن وراءك أسرارًا خفيــة، ومغامرة غير عادية .. فإذا كنت تريد لى الجميل حقيقة .. أرجو أن تسرد علىّ تفاصيل هذه المغامرة، بعد أن تحصل على الحمام الذى تريده، والراحة التى تنشدها .

والآن هيًا بنا حتى لا نضيع الوقت .

اصطحبته الفتاة فى سيارتها، حيث جلس بجوارها، وهو يفتح عينيه بصعوبة، وقد استمر يسعل من جرّاء الأتربة، التى تسللت إلى أنفه وجهازه التنفسى .. وإن هدأ سعاله قليلًا .

وبعد قليل توقفت السيارة أمام منزل صغير، أشبه بالشاليه، حيث صحبته الفتاة إلى الداخل .. وأرشدته إلى الحمام، وهى تبتسم قائلة :

ـ ها هو ذا الحمام .. أرجو أن يكفى الصابون بالداخل، لتخليصك من كل التراب الذى يعلو جسدك .

وغاص (ممدوح) فى مياه الحوض الدافئة، وقد سرى دفؤها إلى جسده، فجعله يسترخى تمامًا .

وكاد يستسلم للنعاس، وهو جالس على هذا النحو، من شدة إحساسه بالتعب، لولا أنه انتفض فجأة من سباته على هدير سيارة تتوقف بالقرب من المنزل .

ثم ما لبث أن سمع صوت الباب يُفتح، والفتاة تستقبل أحد الأشخاص فسارع بمغادرة الحوض وهو يطفئ نور الحمام، ثم لف منشفة حول وسطه وفتح باب الحمام قليلًا ليستمع إلى ما يدور بالخارج بطريقة أفضل .

وسمع صوتًا بدا مألوفًا له يصيح فى الفتاة قائلًا :

ـ لقد بدأت تثيرين غضبى .. لماذا لا تتوقفين عن هذا العناد وتعودين معى إلى المنزل ؟

قالت الفتاة بحدة :

ـ أى منزل ؟.. ذلك المنزل الذى لا أكاد أراك فيه .. إنك لا تأتى إلى هذا المنزل إلا بضعة أيام قليلة كل شهر، وأحيانًا يمر على أكثر من شهرين دون أن تأتى لترانى .. ما الفرق بين هذا المنزل وذلك المنزل الآخر الذى تريد أن أذهب إليه ؟

ردّ عليها الرجل قائلًا :

ـ المنزل الآخر الذى تتحدثين عنه تتمناه أى فتاة، فهو يقع فى أرقى منطقة فى المدينة، ومجهز بكافة التجهيزات العصرية .. ولديك مجموعة من الخدم يلبون كل احتياجاتك .. ما الذى تريدينه منى أكثر من ذلك ؟.. وما الذى يدعوك إلى ترك فيلا هى أشبه بالقصر، لتأتى وتقيمى هنا بمفردك، فى هذا المكان المقفر ؟

كان (ممدوح) قد غادر الحمام وهو يمشى على أطراف أصابعه، حيث توارى وراء ستار، ليراقب الردهة التى يتحدث فيها الرجل مع الفتاة، محاولًا التيقن من صاحب الصوت .

وسرعان ما تأكد من صدق حدسه .. لقد كان (جان ليون) نفسه، وسمع الفتاة ترد عليه قائلة :

ـ ما أريده هو أنت يا أبى .. أريد منك أن تكون موجودًا معى .. بجوارى .

وشهق (ممدوح) قائلًا لنفسه :

ـ أبوها !.. أهذه الفتاة ابنة (جان ليون) ؟

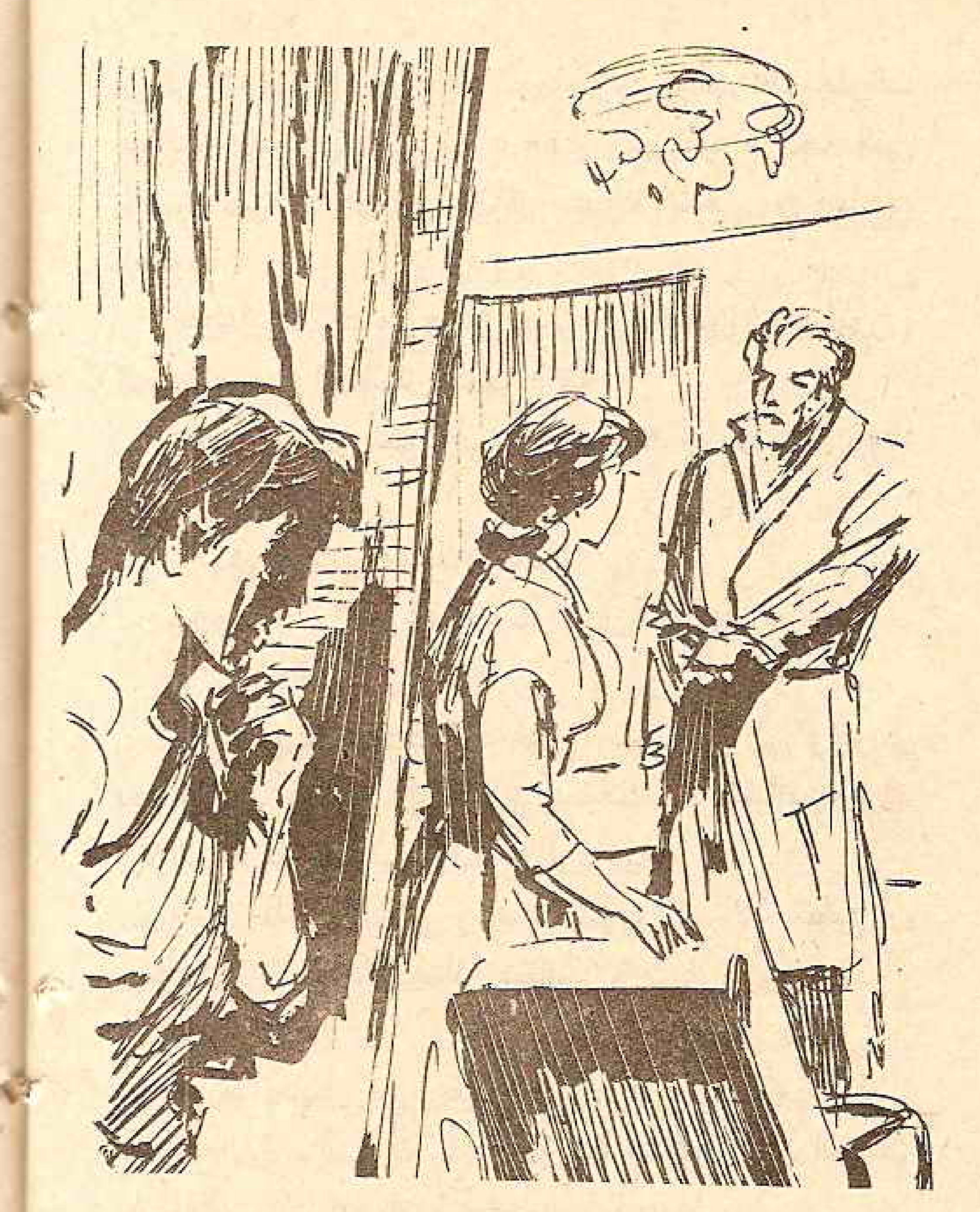
ورد عليها (ليون) قائلًا :

ـ إنك لم تعودى فتاة صغيرة، لتحتاجى إلى وجودى بجوارك .. يمكنك أن تهتمى بحياتك كما تشائين، وقد وفرت لك كل أسباب الراحة والرفاهية .

أما أنا فلدى أعمالى ومسئولياتى، التى لا أستطيع أن أؤجلها من أجل فتاة مدلّلة مثلك .

قالت الفتاة :

ـ وهذا مايحيرنى أيضًا يا أبى .. فأية أعمال تلك التى تضطلع بها .. إننى أكاد أجهل طبيعة عملك .. وقد حرصت دائمًا على إبعادى عن أية أعمال تمارسها .



توارى وراء ستار ، ليراقب الردهة التى يتحدث منها الرجل مع الفتاة ، محاولاً التيقن من صاحب الصوت..

قال لها (ليون) :

ـ لأن هذا ليس من شأنك .. ما الذى تفهمينه أنت فى عالم رجال الأعمال ؟

أجابته قائلة :

ـ وهل يدخل ضمن نشاط رجال الأعمال، إفقاد رجل لوعيه، وحمله فى سيارة بوساطة بعض الأشخاص، ثم الذهاب به إلى منطقة البئر القديمة ؟

بدت ملامح الدهشة التى سرعان ما انقلبت إلى حدة وغضب، على وجه (ليون) وقد أطبق بأصابعه على ذراعيها قائلًا :

ـ متى رأيتِ ذلك ؟ هل تتجسسين علىَّ ؟

خلَّصت ذراعيها من أصابعه قائلة :

ـ أبى إنك تؤلمنى .

ولكنه عاد ليطبق على ذراعيها من جديد، وهو يهزها بعنف قائلًا :

ـ قولى لى : ما الذى رأيته بالضبط ؟ ولماذا تتجسسين علىَّ ؟

قالت وهى تتملص مرة أخرى من قبضتيه، ثم أخذت تمرر راحتها على ذراعيها اللتين آلمتاها :

ـ إننى لم أحاول التجسس عليك .. ولقد رأيت ذلك مصادفة بوساطة منظارى المقرب .. عندما كانت السيارة

التى يستقلها أعوانك تمر من هنا .

لقد تعرّفت هذين الشخصين بداخلها، وكان بينهما ذلك الرجل الذى بدا من الواضح أنه فاقد الوعى تمامًا .

ظننت أوّلًا أن السيارة ستأتى إلى هذا المنزل .. ولكننى رأيتها تواصل طريقها إلى منطقة البئر المهجورة .

سألها (ليون) دون أن يتخلى عن حدته :

ـ وماذا رأيت أيضًا ؟

أجابته قائلة :

ـ لا شىء أكثر من ذلك .

(ليون) :

ـ إياك أن تكونى كاذبة !

قالت الفتاة وهى تنتحب :

ـ قلت لك : لم أر أكثر من ذلك .. ولكن من هذا الشخص ؟ ولماذا حمله رجالك فاقدًا الوعى إلى منطقة البئر المهجورة ؟

هدأت ثائرة (ليون) قليلًا، وهو يستدعيها إلى الجلوس بجواره .. ثم قال لها بلهجة أكثر ودًا :

ـ اسمعى يا (نورما) .. فى محيط عملى يوجد بعض الأفاقين واللصوص والأشرار، وهؤلاء لابد من التعامل معهم بطريقة معينة، حتى نأمن شرورهم .

والرجل الذى شاهدته فى السيارة هو أحد هؤلاء .. لقد حاول أن يسرقنى ويخدعنى .. فكان لابد من تلقينه درسًا يكون عبرة له ولغيره .. ولدى بعض الرجال الذين يتولون هذه الأشياء .

نظرت إليه الفتاة بارتياب قائلة :

ـ وإلى أى مدى يمكن أن يصل رجالك فى تلقين الدروس ؟

حدجها بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ ماذا تعنين ؟

(نورما) :

ـ أعنى .. هل يمكن أن يصل بهم المدى إلى حد القتل مثلًا ؟

صاح فيها قائلًا :

ـ (نورما) .. أبوك ليس قاتلًا .

صاحت (نورما) بدورها :

ـ إننى أريد أن أعرف يا أبى، ما المدى الذى يمكن أن تصل إليه .

(ليون) :

ـ لا شىء أكثر من عقاب بدنى .. هذا الرجل الذى رأيته مثلًا لقد استولى على بعض المبالغ المالية منى دون وجه

حق، مستخدمًا فى ذلك طرق الغش والخداع .. ولم تكن هناك وسيلة أخرى لاسترداد هذه المبالغ سوى أن يقوم رجالى بتخديره، ونقله إلى هذه المنطقة المهجورة حيث أجبروه على إعادة المبالغ التى سرقها إلى حسابى .

قالت (نورما) وهى ترمقه بنظرة متشككة :

- بل هناك وسيلة أخرى لإعادة الحق إلى نصابه دون اللجوء إلى أساليب رجال العصابات .. إخطار الشرطة مثلًا .

قال بضيق :

- إجراءات الشرطة تقتضى وقتًا طويلًا، وهى غالبًا إجراءات عقيمة، أما الطرق التى أستخدمها فهى غالبًا أكثر فاعليه .. ولست وحدى الذى يفعل ذلك .. إن غالبية رجال الأعمال يسخدمون أشخاصًا كهؤلاء لحمايتهم والتصدى للنصابين واللصوص من أمثال ذلك الشخص الذى رأته .

والآن هل نتوقف عن هذا الحديث السخيف، فإن لدى أعمالًا يتعين علىّ أن أنجزها ؟

(نورما) :

- نعم .. لم أعد بحاجة إلى المزيد من الإيضاح .

(ليون) :

- ألن تعودى معى إلى المنزل ؟

(نورما) :

- إننى بحاجة إلى قضاء يومين أو ثلاثة فى هذا المكان .. أريد أن أنفرد بنفسى، وأتفرغ لرسم بعض اللوحات .

(ليون) :

- ولكن ...

قاطعته قائلة :

- أرجوك يا أبى يومين أو ثلاثة لا أكثر .

زفر (ليون) بضيق قائلًا :

- حسن .. ولكن لا أكثر من ذلك .. سأترك أحد رجالى بالخارج لحمايتك .

(نورما) :

- لست بحاجة إلى حماية .. وليست هذه هى المرة الأولى التى آتى فيها إلى هنا بمفردى .

نظر إليها بضيق :

- كما تشائين .. ولكن بعد ثلاثة أيام إذا لم تعودى إلى منزلك فى المدينة، فسأرسل بمن يأتى بك، ولو اضطررت لأن أفعل ذلك برغم إرادتك ثم صفق الباب خلفه وهو يهتف قائلًا بضيق :

ـ فتاة عنيدة .

سارع (ممدوح) بالعودة إلى الحمام، وفتح الدش .. ولكن دون أن يقف أسفل المياه المتدفقة منه .. بل وقف بجوار نافذة الحمام الصغيرة، ليزيح ستارها وهو يرقب من خلفه (ليون) وهو يركب سيارته منصرفًا يصحبه رجاله .

وهتفت الفتاة فى الخارج قائلة :

ـ أما زلت فى الحمام ؟

أجابها :

ـ نعم .. المياه منعشة للغاية .

قالت بصوت ينم عن الضيق :

ـ هل ستبقى تحت الماء طوال اليوم ؟

أجابها قائلًا :

ـ لو جربت مثلى حمامًا من التراب، لأدركت مدى اشتياقى للماء .. وعلى كل حال أنا خارج الآن .

(نورما) :

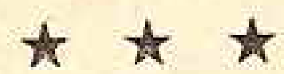
ـ أرجو أن تسرع بذلك .. فقد أعددت لك بعض الطعام الساخن .

وتناول (ممدوح) (برنس) الحمام الذى أعطته إياه الفتاة ليرتديه .. ثم غادر الحمام وقد أحسّ بانتعاش حقيقى، لم يعكره سوى رؤيته لـ (جان ليون) داخل هذا المنزل .

وكانت المفاجأة الثانية فى انتظاره .. إذ ما كاد يخطو خطوتين خارج الحمام حتى فوجئ بالفتاة أمامه، وهى تصوب إليه مسدسًا قائلة :

ـ قف مكانك .. ولا تخط خطوة واحدة أكثر من ذلك .

وكانت مفاجأة حقيقية .





٨ ـ ابنة الشيطان ..

سألها (ممدوح) قائلًا :

ـ ما معنى ذلك ؟ كنت منذ دقائق فى غاية اللطف والرقة معى .. فما الذى بدلك على هذا النحو ؟

أجابته قائلة :

ـ منذ دقائق لم أكن أعلم أنك لص وأفاق .

(ممدوح) :

ـ وما الذى أوحى لك بذلك ؟

(نورما) :

ـ ليس هذا من شأنك .. المهم أننى علمت بذلك ، ولم أعد أثق بك ولا بوجودك هنا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ حسن .. هل تسمحين لى بتناول بعض الطعام أولًا ؟ فأنا لم أتناول شيئًا منذ الصباح كما تعلمين .

اقتادته إلى المطبخ وهى تشير إلى مائدة صغيرة ، وضعت عليها بعض الأطعمة قائلة :

ـ تناول طعامك ثم انصرف .

أقبل (ممدوح) على الطعام بنهم .. ولكن هذا لم يمنعه من أن يسألها قائلًا :

ـ نسيت أن أقدم لك نفسى ، إننى أدعى (أندرو) من إدارة مكافحة التهرب الضريبى .. وأنت ما اسمك ؟

ردت عليه قائلة :

ـ هذا أيضًا ليس من شأنك .. وأعتقد أنك كاذب فيما تدعيه .

(ممدوح) :

ـ يمكنك أن تبحثى فى جيوب سترتى ، وستجدين بطاقة تدل على ذلك .

(نورما) :

ـ هذا لا يعنى شيئًا .. فربما كانت بطاقة مزورة .

تحول إليها قائلًا :

ـ لست أدرى سبب هذا التحول المفاجئ فى سلوكك نحوى .

(نورما) :

ـ كل ما أريده منك بعد أن تنتهى من تناول طعامك ، هو أن ترتدى ثيابك وتسرع بمغادرة المكان .

(ممدوح) :

ـ ولكنى بحاجة إلى الراحة .

(نورما) :

ـ ابحث عنها فى مكان آخر .

(ممدوح) :

ـ حسن .. هل ستقرضيننى سيارتك ؟

(نورما) :

ـ بالطبع .. لا .

(ممدوح) :

ـ وهل تريدين منى أن أسير على قدمى عشرات الكيلومترات، فى هذا المكان المقفر حتى أجد مكانًا يأوينى ؟

(نورما) :

ـ هذا شأنك .

أمسك بالكوب الفارغ قائلًا :

ـ إذن هل تسمحين لى بتناول بعض الشراب قبل أن أرحل ؟

تحركت نحو الثلاجة بعد برهة من التردد .. ولكن عندما همت بفتح بابها لتناول زجاجة عصير من داخلها وتقديمها إلى (ممدوح) .. تراجعت وقد أحست بأنه من الممكن أن يستغل الموقف، وانشغالها بفتح باب الثلاجة وتناول الشراب من داخلها فيعمد إلى مهاجمتها .

قالت له وهى تلصق ظهرها بحوض المطبخ مصوبة مسدسها إليه :

ـ تعال لتأخذ الشراب الذى تحتاج إليه بنفسك .

نهض (ممدوح) وعلى وجهه تلك الابتسامة الجذابة ليفتح باب الثلاجة قائلًا :

ـ أشكرك ..إننى مازلت مصرًا على أنك فتاة طيبة ورقيقة وفاتنة أيضًا .

انكمشت فى مكانها وهى تحرك أصبعها على الزناد، قائلة بصوت حاولت أن تجعله خشنًا دون أن تفلح فى ذلك :

ـ هيا .. أسرع ودعنا ننته من هذا الأمر .

نظر (ممدوح) داخل الثلاجة .. وبدلًا من أن تمتد يده إلى زجاجة العصير الموجودة بداخلها، امتدت لتناول (تورتة) صغيرة مغطاة بطبقة من الكريمة .

واستدار فى سرعة خاطفة، ليلقى (بالتورتة) على وجه الفتاة، التى فوجئت بهذه الحركة المباغتة .. ووجدت وجهها وقد أصبح مغطى بالكريمة .. مما جعلها تغمض عينيها، وتسارع باستخدام يدها لازالة الكريمة عن وجهها وعينيها . ولكنها وجدت (ممدوح) وقد انقض عليها فى خفة الفهد، لينتزع المسدس من يدها، وعندما أزاحت الكريمة عن عينيها المغمضتين، كان واقفًا أمامها



واستدار فى سرعة خاطفة ، ليلقى (بالتورتة) على وجه الفتاة ، التى فوجئت بهذه الحركة المباغتة ..

وقد شهر المسدس فى وجهها ، دون أن يتخلى عن ابتسامته قائلًا :

ـ آسف لأنك اضطررتنى إلى استخدام هذا الأسلوب معك .. ولكن لم يكن هناك وسيلة أخرى لكى أستعيد بها ثقتك سوى هذه .

فإذا كنت تظنين أننى خائف من المسدس الذى تشهرينه فى وجهى ، فهاهو المسدس فى متناول يدى .. ويمكننى أن أستخدمه ضدك لو أردت .. خاصة إذا كنت لصًا أو أفاقًا كما تقولين .

ومد لها يده بالمسدس مردفًا :

ـ ولكن ها هو ذا المسدس أعيده لك محشوًا كما أخذته .. ويمكنك أن تستخدميه ضدى لو أردت ، ولو كانت ثقتك ما زالت معدومة فىّ .

وأخذت منه الفتاة المسدس ، وهى تنظر إليه بحيرة . بينما أردف هو قائلًا ، وهو يتناول منشفة المطبخ :

ـ والآن هل تسمحين لى بإصلاح الخسائر التى تسببت فيها هنا ؟.. مع تكرار الاعتذار .

وقام بإزالة بقايا (التورتة) التى تساقطت على أرضية المطبخ ، وعلقت بالمكان ، فى حين وقفت الفتاة تنظر إليه ، وعلى وجهها علامات التردّد .. ثم ما لبثت أن أبعدت المسدس ، لتساعده فى تنظيف المكان قائلة :

ـ هل أسألك سؤالًا وتجيبنى بصراحة ؟

(ممدوح) :

ـ اسألى ما تشائين .

(نورما) :

ـ ما الذى تحمله ضد (جان ليون) ؟

نظر إليها (ممدوح) قائلًا :

ـ وما صلتك (بجان ليون) ؟

(نورما) :

ـ أيهمك أن تعرف ذلك ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .

(نورما) :

ـ إننى ابنته .

نهض (ممدوح) ليضع بقايا (التورتة) فى صندوق القمامة قائلًا :

ـ إذن فمن الأفضل ألا أجيبك عن سؤالك .

(نورما) :

ـ لماذا ؟

(ممدوح) :

ـ لأن الإجابة قد تؤلمك .

نظرت إليه (نورما) قائلة بدهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟.. ومع ذلك فإننى مصرة على أن أعرف إجابتك .

حدق (ممدوح) فى وجهها قائلًا :

ـ قولى لى أولًا .. ما الذى تعرفينه عن والدك ؟

(نورما) :

ـ إنه رجل أعمال ثرىّ .

(ممدوح) :

ـ ويقوم بتزوير السجلات الضريبية ليتهرب من دفع الضرائب التى تطالبه بها الدولة .. هذا هو الشىء الذى لا تعرفينه عن أبيك .

(نورما) :

ـ أهذا هو كل ما تحمله عليه ؟

(ممدوح) :

ـ هذا يكفى لإلقائه فى السجن بضع سنوات .. فوالدك متهرب من دفع ضرائب تزيد قيمتها على ستة ملايين دولار .

امتقع وجه الفتاة وهى تقول :

ـ أهذا حقيقى ؟ أبى يدخل السجن .

(ممدوح) :

ـ فى الحقيقة إنه يستحق ما هو أكثر من ذلك .

(نورما) :

ـ أنت حاقد عليه، لأنه قام بمعاقبتك على محاولتك سرقته .

(ممدوح) :

ـ أعتقد أنك أكثر واحدة تعرفين أن هذا كذب وادعاء .. فالأمر كان يتجاوز حدود العقاب .. لقد أراد والدك التخلص منى وقتلى، ولولا وجودك لكنت قد لقيت حتفى بعد أن استخدم رجاله لدفنى حيًا .

لقد كذبت عليك .. فلم يكن للأمر أية علاقة بالسرقة .. فالسارق الوحيد هو أبوك .. لأنه سرق ستة ملايين دولار مدين بها للدولة، مستخدمًا فى ذلك وسائل الغش والتزوير .

وقفت الفتاة حائرة ومضطربة، وقد تنازعتها مشاعر شتى .. فربَّت (ممدوح) على كتفها قائلًا :

ـ ألم أقل لك إن الحقيقة ستؤلمك ؟

انتحبت قائلة :

ـ ولكنه أبى .. وأنا لن أقوى على أن أراه يدخل السجن .. أرجوك لا تجعل غضبك مما فعله معك، يدفعك للانتقام منه .. وتقديمه للسلطات .

(ممدوح) :

ـ إننى أؤدى واجبى .

(نورما) :

ـ ألا توجد وسيلة لإصلاح الأمر ؟

تظاهر (ممدوح) بالتفكير لبرهة من الوقت، فى حين تعلقت به عينا الفتاة وهى تأمل فى مساعدته لها .

ثم ما لبث أن قال :

ـ كدت أفقد حياتى على يد أبيك وأعوانه .. ولكنى لن أنسى أنك أنت التى أنقذتنى من الموت .. وأنت ابنته .

لذا فمن أجل خاطرك، سأحاول أن أسوى الأمر معه لو أتيحت لى الفرصة لمقابلته .

تطلعت إليه برجاء قائلة :

ـ هل تستطع مساعدته حقًا ؟

(ممدوح) :

ـ هذا فقط لأجل خاطرك .. بالرغم مما فعله معى .. وبالرغم من أن هذا يتعارض مع الواجب المكلف به .. ربما استطعت أن أتفق معه على تسديد هذه المبالغ الضريبية بطريقة ما .. وتسوية ملفاته، وإخفاء الأمر بالنسبة للسجلات المزورة .

قالت (نورما) وقد بدا على وجهها شىء من التردد :

ـ ولكنه قد يغضب إذا ما أقحمت نفسى فى عمله، واصطحبتك إليه على هذا النحو .

(ممدوح) :

ـ يغضب لأنك تحاولين مساعدته على النجاة من السجن ؟!

قال لها متظاهرًا باللامبلاة :
ـ فلنترك الأمر إذن للسلطات لكى تتصرف معه .
تراجعت (نورما) على الفور قائلة :
ـ كلا .. سأحاول تدبير تلك المقابلة ، حتى لو تسبب ذلك فى غضبه علىّ .
(ممدوح) :
ـ من الأفضل أن نفاجئه بهذه الزيارة .. فربما لو عرف أننى ما زلت على قيد الحياة، دون أن يتبين حقيقة محاولتى لمساعدته ، لجعله ذلك يستخدم رجاله فى الإقدام على عمل طائش آخر .
(نورما) :
ـ حسن .. سأفعل .
نظر (ممدوح) إلى الأريكة التى تتوسط الردهة قائلًا :
ـ أعتقد أن هذه الأريكة تكفينى للحصول على بضعة ساعات من النوم، بعد هذا اليوم الشاق المرير .
قالت (نورما) :
ـ سأحضر لك بعض الأغطية لتتدثر بها .
وما إن تمدد (ممدوح) على الأريكة حتى راح فى سباق عميق .
عميق للغاية .

★ ★ ★

٩ ـ لقاء الشيطان ..

أنهت (نورما) الاتصال التليفونى، ثم التفتت إلى (ممدوح)، الذى انتهى أيضًا من ارتداء سترته قائلًا :
ـ لقد علمت أن أبى يوجد الآن فى مزرعته الخاصة .. ويمكننا أن نذهب إليه هناك .
(ممدوح) :
ـ وأين تقع هذه المزرعة ؟
(نورما) :
ـ على بعد عشرين كيلو مترًا من المدينة .
(ممدوح) :
ـ حسن .. سأذهب أولًا إلى المدينة لاستبدال هذه الثياب المتربة بثياب أخرى .. وأسوى بعض الأمور .. ثم نلتقى أمام فندق (رويال)، لنذهب معًا إلى مزرعة أبيك .
(نورما) :
ـ سأوصلك بسيارتى .
وقبل أن يصلا إلى الباب استوقفها (ممدوح) قائلًا :
ـ من الغريب أننى لم أعرف اسمك حتى الآن .

(نورما) :
- اسمى (نورما) :
ابتسم (ممدوح) قائلًا :
- اسم جميل كصاحبته .
أحست (نورما) بشىء من الانجذاب إليه .. خاصة وهى ترى على وجهه تلك الابتسامة الساحرة .
وسألته قائلة :
- لقد قلت لى إن اسمك (أندرو) أليس كذلك ؟
(ممدوح) :
- نعم .
ضحكت قائلة :
- حسن .. يا مستر (أندرو) ، هل ستبقى واقفًا تحدق فىّ هكذا ؟ أم نذهب لركوب السيارة ؟
(ممدوح) :
- أعذرينى .. فلك عينان تجعلان المرء ينسى كل شىء .
واصطحبته لركوب السيارة قائلة :
- يبدو أنك مغازل بارع .
سألها(ممدوح) قائلًا :
- أخبرينى .. ألا تعرفين شيئًا عن أعمال أبيك ، عدا أنه رجل أعمال وثرى ؟

(نورما) :
- إن والدى كان يبعدنى دائمًا عن مجال نشاطه وأعماله .. كان يقول لى .. إن علىّ ألا أشغل تفكيرى بذلك .. وأن أتفرغ فقط للتمتع بحياة سعيدة ، وممارسة الرسم الذى أحبه .
(ممدوح) :
- هل ترسمين ؟
(نورما) :
- يمكنك أن تعتبرنى فنانة هاوية .
ذهب (ممدوح) إلى المنزل الصغير المخصص له فى أحد أحياء المدينة ، حيث استقبله أحد زملائه وعلى وجهه ملامح القلق قائلًا :
- أين كنت ؟ لقد قلقنا عليك . .
ونزع سترته قائلًا :
- كنت فى مقبرة كادوا يوارون جثمانى فيها التراب .
نظر إليه زميله بدهشة قائلًا :
(ممدوح) :
- لقد استخدم (ليون) بعض أعوانه لإفقادى الوعى ، ووضعى داخل مقبرة ، ثم أخذوا يهيلون علىّ التراب بداخلها .

قال له زميله :

ـ إذن فقد اكتشف أمرك .

(ممدوح) :

ـ نعم .. ولم ينتظر طويلًا حتى يقرر التخلص منى .

سأله زميله :

ـ وكيف نجوت من هذه الميتة البشعة ؟

(ممدوح) :

ـ تلك قصة أخرى .. المهم الآن أننى أريد أن أبدل ثيابى، لأننى ذاهب إلى مقابلته .

عاد زميله لينظر إليه بدهشة قائلًا :

ـ مقابلة من .

(ممدوح) :

ـ (جان ليون) :

صاح زميله قائلًا :

ـ هل ستذهب إلى هذا الشيطان مرة أخرى بقدميك، لتقابله وجهًا لوجه؟

(ممدوح) :

ـ هل نسيت، لقد جئت إلى هنا خصيصًا من أجل هذا الشيطان ؟

قال زميله

ـ ولكن ذهابك إليه على هذا النحو، يعرضك لمخاطرة كبيرة، خاصة وأنه يظن الآن أنه نجح فى التخلص منك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ أريد أن أرى وجهه، عندما يكتشف أن الميت الذى دفنه قد عاد إليه حيًا .

سأله زميله :

ـ وأين ستذهب لمقابلته ؟

(ممدوح) :

ـ فى مزرعته الخاصة، على بعد عشرين كيلو مترًا من المدينة .. ستصحبنى ابنته إلى هناك .

حدق فيه زميله قائلًا :

ـ ابنته .

(ممدوح) :

ـ نعم ..

سأله بدهشة :

ـ ولكن كيف تسنى لك .. أعنى ...

قاطعه (ممدوح) :

ـ إنك تكثر من الأسئلة اليوم يا (عزت) .. أجّل أسئلتك لما بعد، فقد جئت لتبديل ثيابى والذهاب، ومقابلة تلك

قاطعه (ممدوح) : — إنك تكثر من الأسئلة اليوم يا (عزت) .. أجِّل أسئلتك لما بعد ، فقد جئت لتبديل ثيابى ..

الفتاة ، حيث نذهب سويًا لمزرعة (ليون) .. ولا وقت لدى لأضيعه .

(عزت) :

ـ سأتصل (بمحمود) لترتيب الأمر ووضعك تحت المراقبة .

(ممدوح) :

ـ ولكننى أريدها مراقبة حذرة .. فـ (ليون) له أعوانه وجواسيسه .. وإذا شعر بالخطر فلا يمكن التنبؤ بتصرفاته .

(عزت) :

ـ اطمئن .. سنكون حذرين .

(ممدوح) :

ـ أوص (محمود) بأن يتخلى عن المراقبة ، إذا استشعر أنهم سيكتشفون أمره .

(عزت) :

ـ قلت لك اطمئن .. المهم خذ أنت حذرك .. فذلك الرجل لن يتورع عن إرسالك إلى القبر مرة أخرى .. وفى هذه المرة قد لا تعود منه أبدًا .



اجتازت (نورما) بسيارتها بوابة المزرعة ، حيث

استقبلها الحارس بترحاب، ثم مالبث أن توجه إلى سماعة الهاتف الداخلى، فى الكشك الصغير الموجود بجوار البوابة، ليتصل بأحد الأشخاص قائلًا :

ـ أخبر مسيو (ليون) أن ابنته قد حضرت، وبرفقتها أحد الأشخاص .

وفى أثناء ذلك، كان (ليون) واقفًا مع عدد من الأشخاص داخل أحد المعامل الكيميائية، وقد ارتدوا جميعًا خوذات واقية من البلاستيك المقوى تغطى وجوهم، وثيابًا فضفاضة صنع قماشها من مادة جلدية خاصة .. ذات لون فضى .. ووضعوا كذلك قفازات جلدية فى أيديهم من نفس النوع .

وكان الجميع ملتفين حول صندوق زجاجى كبير الحجم .. وبه عدد من الأسطوانات المعدنية متراصة بجوار بعضها .

وهمّ أحدهم بفتح إحدى هذه الأسطوانات المعدنية .. لكن (ليون) استوقفه وهو يقبض على ذراعه قائلًا :

ـ بحرص .

وقال الرجل :

ـ اطمن يا مسيو (ليون) .. بمنتهى الحرص .

وفتح الأسطوانة المعدنية .. ليظهر بداخلها ما يشبه

طلقات الرصاص، ولكن بحجم كبير، يصل إلى خمسة أضعاف الطلقة العادية .

وكانت الأسطوانة المعدنية تحتوى على ما يربو على المائة طلقة من هذا النوع .

وتناول الشخص الذى فتح الأسطوانة إحدى هذه الطلقات .. ليضعها داخل صندوق معدنى صغير، حيث حركها فى اتجاهين متضادين بوساطة أصابعه، فانقسمت الطلقة إلى نصفين، وظهر بداخلها مادة مشعة .. تميل إلى اللون الأصفر .

وهتف (ليون) :

ـ عظيم .. هذا ما نحتاج إليه بالضبط .

وأشار إلى أحد المحيطين به .. فسارع بسكب مادة كيمائية على محتويات الطلقة، ثم أغلق الصندوق .. سريعًا .

كما قام الشخص الآخر بإغلاق الأسطوانة المعدنية .. وباب الصندوق الزجاجى الكبير .

وقال (ليون) وهو يصطحب أعوانه خارج المعمل، بعد أن نزع عن وجهه الخوذة البلاستيكية :

ـ والآن أيها السادة، أصبحت المادة المشعة التى أرسلها إلينا أصدقاؤنا جاهزة للاستخدام .. وسنبدأ فى إجراء التجارب من الغد .

وفى تلك اللحظة حضر أحد الأشخاص قائلًا (لليون) :

ـ مسيو (ليون) .. هل تسمح ؟

نظر (ليون) إليه بضيق، لقطعه لحديثه على هذا النحو قائلا :

ـ ماذا تريد ؟

همس الرجل فى أذنه ببضعة كلمات .. قال بعدها (ليون) بانزعاج :

ـ ابنتى .. ولكن ما الذى أتى بها إلى المزرعة .. إنها لم تحضر إلى هنا منذ سنة تقريبًا ؟

قال الرجل :

ـ إنها ترغب فى مقابلتك .

سأله (ليون) قائلًا :

ـ ومن ذلك الرجل الذى جاء معها ؟

أجابه الرجل قائلًا :

ـ لا أعرف إننى لم أره من قبل ..

تأفف (ليون) قائلًا :

ـ حسن .. إننى ذاهب إليهما الآن

والتفت إلى معاونيه قائلًا :

ـ سنكمل حديثنا فيما بعد .

ثم استدار ليستقل عربة صغيرة تجرها الجياد اتجهت به إلى منزله .

وكانت (نورما) قد توقفت بسيارتها أمام فيلا أنيقة، تشبه القصر، داخل المزرعة، وفتح لهم الباب شخص يرتدى الملابس الرسمية. ثم قادهما إلى حجرة المكتب التى كانت مفروشة على أحدث طراز .

قالت (نورما) لـ (ممدوح) :

ـ انتظر هنا .. سأدعو والدى حالًا :

أخذ (ممدوح) يتأمل المكان حوله .. وقد أدهشه هذا البذخ الذى يبدو واضحًا فى هذه الغرفة الفسيحة الفاخرة الأثاث .

وتساءل عما إذا كانت بقية حجرات هذا القصر، تحتوى على هذا القدر من البذخ ؟

وما لبث أن ابتسم قائلًا لنفسه :

ـ لابد أن صاحب هذا المكان، لا يؤدى ما عليه من ضرائب بالفعل .. وهذا ما يخفف من إحساسى بالذنب، لأننى لا أكون قد كذبت بذلك على الفتاة .

ووقف يتأمل إحدى اللوحات المعلقة على الجدار، حينما أحس بباب الحجرة يفتح .

ورأى (نورما) تأتى بصحبة والدها .. الذى حدق فيه بدهشة، فلم يستطع أن يمنع نفسه من ابتسامة ساخرة

تراقصت على شفتيه، وهو يضع يديه خلف ظهره قائلًا :

ـ يسعدنى أن ألتقى بك يا مسيو (ليون) .

ثم أضاف فى سخرية :

ـ مرة ثانية .

وتفجَّر الغضب فى وجه (ليون) :

* * *

١٠ ـ وكر الشيطان ..

قال (ليون) دون أن يستطيع إخفاء دهشته :

ـ أنت؟ كيف ؟!

(ممدوح) :

ـ يقولون إننى مثل القطط بسبعة أرواح .

(ليون) :

ـ ولكنى كنت أعتقد أنك ..

قاطعه (ممدوح) قائلًا :

ـ مت .. أليس كذلك؟ على كل حال، ابنتك العزيزة (نورما) لها دور كبير فى مساعدتى على النجاة من الموت .

نظر (ليون) إلى ابنته قائلًا :

ـ أنت .. أنت يا (نورما) .

قالت (نورما) وفى عينيها نظرة اتهام :

ـ نعم يا أبى .. هل كنت تنتظر منى أن أتخلى عن شخص كان على وشك الموت؟ شخص كلفت رجالك التخلّص منه .

(ليون) :

ـ ولكن ...

قالت دون أن يكمل رده :

ـ أهذا هو العقاب الذى تتخذه دائمًا ، ضد الأشخاص الذين تغضب عليهم ؟

(ليون) :

ـ إننى لم أطلب منهم أن يقتلوه .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ من الغريب أن تقول هذا .. وقد سمعت صوتك يتردد فى جينات القبر ، وأنت تشيع جنازتى .

قال (ليون) لابنته وقد بدا عليه الاضطراب والغضب :

ـ لا تستمعى لما يقوله هذا الوغد الأفاق .

ولكن (نورما) قالت له بهدوء :

ـ من فضلك يا أبى .. إننى لن ألومك أو أناقشك فى مثل هذه الأمور .. المهم أن تدع هذا الرجل يساعدك الآن على تصحيح بعض الأوضاع الخاطئة التى قد تعرضك للسجن .

نظر إليها (ليون) باستغراب :

ـ أوضاع خاطئة ؟! أية أوضاع ؟ وما الذى قاله لك هذا النصاب ؟

قال (ممدوح) سريعًا :

ـ سامحك .. الله .. إننى سأغفر لك هذه الإهانات .. كما غفرت لك محاولتك قتلى .. لأننى إنسان متسامح بطبعى .

وبالرغم من كل ما فعلته معى ، فقد جئت لمساعدتك لأجل خاطر ابنتك الجميلة ، ولأننى أحمل لها دين فى عنقى .

نظر إليه وهو يحدجه بنظرة نارية قائلًا :

ـ وما نوع المساعدة التى يستطيع شخص مثلك أن يقدمها (لجان ليون) ؟

(ممدوح) :

ـ مساعدتك على حل مشكلتك مع الضرائب .

نظر إليه (ليون) بدهشة قائلًا :

ـ الضرائب .

وتدخلت (نورما) قائلة :

ـ نعم يا أبى ، إن ستة ملايين دولار بالنسبة لك تعد مبلغًا بسيطًا لا يساوى أن تعرض نفسك للسجن .

(ليون) :

ـ ستة ملايين (دولار) .. وسجن .. ماذا تقولين ؟

قال (ممدوح) سريعًا وهو يمسك بذراعه داعيًا إياه للجلوس :

ـ الملايين الستة التى تدينك بها الضرائب .. والتى

حاولت أن تخفيها عن الدولة بوساطة التزوير فى السجلات الرسمية.. أنت تعرف أن أمرًا كهذا يعرضك للسجن .

نزع (ليون) ذراعه من يد (ممدوح) قائلًا بعنف :

- إننى لا أعرف أية أكاذيب قلتها لابنتى عنى.. ولكننى أعرف جيدًا، أننى لن أتورع عن اتخاذ إجراء صارم آخر ضدك، لو لم تبارح هذا المنزل فورًا .

توسلت إليه (نورما) قائلة :

- أبى .

قال (ممدوح) وهو يضغط على ذراعه لينبهه للامتثال لما يقوله :

- اهدأ يا مسيو (ليون) ودعنا نتدارس الأمر بعقل وحكمة.. إننا يمكن أن نعيد ترتيب سجلاتك، على نحو يمكننا من تسوية الأمر.. خاصة إذا ما عجلت يدفع الضرائب المفروضة عليك .

(ليون) :

- لست أفهم ما معنى هذا الذى تقوله؟ وما صلتك بالضرائب ؟

نظر (ممدوح) إلى (نورما) قائلًا :

- أعتقد أن والدك محرج من مناقشة هذا الأمر أمامك.. كما أن المسائل الضرائبية مسائل فنية، قد تصيبك

بالملل.. لماذا لا تتركينا معًا لنناقش الأمر، وفى أثناء ذلك تطلبين لنا بعض الشراب ؟

ونظر إلى (ليون) مستطردًا :

- أعتقد أن والدك بحاجة إلى شراب مهدئ .

وما إن غادرت الفتاة الحجرة.. حتى استدار (ليون) لمهاجمة (ممدوح) وهو يقبض على ذراعيه بقوة قائلًا :

- اسمع أيها الأفاق.. إقحامك لابنتى فى أمورى الخاصة، سيجعلنى مصممًا على قتلك دون أى خطأ هذه المرة .

نزع (ممدوح) ذراعيه من قبضتى (ليون) قائلًا :

- إننى أصدقك فليس أسهل على شخص مثلك من إصدار أوامر بإزهاق الأرواح .

قال (ليون) وهو ما زال ثائرًا :

- ما معنى قصة الضرائب هذه التى رويتها لابنتى ؟

قال (ممدوح) بهدوء، وهو يجلس على أحد المقاعد، واضعًا ساقًا فوق ساق :

- وماذا كنت تريد منى أن أقول لها ؟.. كونك متهربًا من الضرائب أفضل من أنك تدير مكتبًا للمراهنات، بطريقة غير قانونية.. وأن تشارك فى تجارة وتهريب السلاح، ولك علاقات مشبوهة بعدد من رجال العصابات المعروفين.. أليس كذلك ؟

هدأت ثورة (ليون) وقد تحولت إلى برودة قاسية تجلت فى عينيه وهو ينظر إلى (ممدوح).. قائلًا :

- كيف تسنَّى لك معرفة كل هذا؟ أنك لست مجرد شخص راهن على مباراة فى الملاكمة.. كما أنك لست مجرد نصاب يسعى للابتزاز.. إنك تبدو أخطر من ذلك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا فى تهكم :

- أخجلتم تواضعنا .

(ليون) :

- قل لى.. ماذا تريد منى؟

قال (ممدوح) وهو ما زال محتفظًا بابتسامته :

- أريد صداقتك .

أطلق (ليون) ضحكة عالية وهو يجلس إلى مكتبه قائلًا :

- هل تعرف أنك قد بدأت تحوز إعجابى ؟

(ممدوح) :

- إذن.. فهذه بداية طيبة لصداقتنا .

وفى تلك اللحظة طرق باب الحجرة، ودخل أحد الخدم حاملًا صينية عليها زجاجة شراب وكأسان .

وطلب منه (ليون) أن يضع الصينية فوق المكتب وينصرف.. ثم قام ليصب الشراب بنفسه ،حيث قدم كأسًا لـ (ممدوح). رفضها قائلًا :

- آسف.. أننى لا أشرب إلا العصائر فقط .

(ليون) :

- سأطلب لك عصيرًا .

(ممدوح) :

- دعنا لا نضيع الوقت فى هذه المجاملات.. ولنتحدث حديثًا جديًا .

جلس (ليون) فى المقعد الذى يجاوره، وهو ينظر إليه قائلًا بجدية :

- قل لى.. أأنت من رجال البوليس؟ أم مخبر سرى تعمل لحساب أعدائى ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

- يمكنك أن تختار لى المهنة التى تحبها.. المهم أن نتفق معًا .

(ليون) :

- نتفق على (ماذا) ؟

(ممدوح) :

- على أن تمنحنى توكيلًا منك للتعامل فى تجارة السلاح فى الشرق الأوسط.. وتأكد أننى سأكون مفيدًا لك فى هذا الشأن .

عاد (ليون) ليطلق ضحكته المجلجلة، وهو ينهض من فوق مقعده، ليعود فيجلس أمام مكتبه قائلًا :

- شىء مدهش.. يالك من رجل!.. أولًا مراهن خسر أمواله فى مباراة للملاكمة.. ثانيًا.. من رجال مكافحة التهرب من الضرائب.. ثالثًا تطلب منى أن أختار لك المهنة التى تروقنى، ما بين ضابط شرطة أو مخبر سرى خاص. وهأنت تطالب الآن بأن تكون وكيلًا لى فى تجارة الأسلحة فى الشرق الأوسط.

يبدو أنك تجيد ممارسة العديد من المهن.

(ممدوح):

- يقولون عنى إننى متعدد المواهب.

(ليون):

- إنك موهوب بالفعل فى الكذب والادعاء.. فما أظن أنك تعرف شيئًا عن تجارة السلاح، ولم يسبق لك أن مارستها من قبل.. تمامًا كجهلك بالأمور الضريبية.

(ممدوح):

- ومع ذلك فأنا لم أكذب عليك بشأن تجارة السلاح.. إن لى العديد من الأصدقاء من ذوى المناصب الهامة، ومن المسئولين فى عدد من بلدان الشرق الأوسط، وهم بحاجة إلى وسيط يتعامل معهم فى تهريب وتجارة بعض أنواع من الأسلحة.. وهذا هو السبب الرئيسى الذى دفعنى إلى تعقبك.

(ليون):

- كان يمكن لك أن تختصر الوقت والمسافة منذ البداية، وتقدم لى عرضك.

(ممدوح):

- إن شخصًا مثلك لبس من السهل أن يكشف أوراقه الخاصة لكل من يحاول أن يخطب وده.. خاصة إذا كان لم يسبق له التعامل معه من قبل.

وفى تلك اللحظة دخلت (نورما)، حيث نظرت إليهما قائلة:

- أرى أنكما قد تفاهمتما.

قال (ليون) سريعًا:

- نعم.. لقد استطاع مسيو ....

أكمل (ممدوح):

- (أندرو).. اسمى (أندرو).

(ليون):

- لقد استطاع مسيو (أندرو) أن يقنعنى بمعالجة الأمر، وتسوية موضوع الضرائب.

ابتسم (ممدوح) قائلًا:

- وقد تبين لى أن أباك رجل عاقل وحكيم.

اقتربت (نورما) من أبيها قائلة:

- أرجو أن تستمع دائمًا لصوت العقل والحكمة يا أبى.

نهض (ممدوح) قائلًا :

ـ والآن .. هل تسمحان لى بالانصراف ؟

(نورما) :

ـ لماذا لا تقضى الليلة معنا فى المزرعة ؟

(ممدوح) :

ـ ربما كان هذا لا يناسب والدك .

(ليون) :

ـ بالعكس .. يسعدنا أن تقضى الليلة معنا .

(ممدوح) :

ـ إننى مرتبط بموعد فى العاشرة مساءً .. ولكن يمكننى أن أقضى معكما طيلة النهار .. أعتقد أن لديك مزرعة جميلة يا مسيو (ليون) .

قالت (نورما) سريعًا وهى ترمقه بإعجاب .

ـ ما رأيك لو اصطحبتك فى جولة سريعة ، لتشاهد معالم المزرعة ؟

(ممدوح) :

ـ إذا وافق على ذلك مسيو (ليون) :

(ليون) :

ـ بالطبع .. بالطبع .. يمكنك أن تصطحب ابنتى لرؤية

معالم المزرعة .. وبعدها سيكون لنا جلسة أخرى ، لنتحادث بشأن الموضوع الأخير الذى كلمتنى عنه .

(نورما) :

ـ سآمر بإعداد العربة التى تجرها الجياد ، لنستقلها ونقوم بجولتنا داخل المزرعة .

وكان هذا ما ينشده (ممدوح) بالضبط .. بل ما يتمناه .

★ ★ ★



Caption under the illustration:

مسح (ممدوح) بيده على رقبة المهرة قائلاً :

ــ هل تعرفين أن لها مثل عينيك الوديعتين ؟

١١ ـ المنطقة المحرَّمة ..

قادت (نورما) العربة ذات الجياد فى أرجاء المزرعة، وقد جلس (ممدوح) إلى جوارها.. وهى تقوم بدور المرشدة.. حيث أخذت تصف له بعض الأماكن المفضلة، والتى إعتادت اللجوء إليها، كلما أحست بضيق أو رغبة فى ممارسة هوايتها للرسم.

وقادته إلى إسطبل الجياد التى يقتنيها أبوها، حيث أخذت تشرح له خصائص وصفات كل جواد، والسلالة التى ينتمى إليها.

وتوقفت أمام مهرة صغيرة، أخذت تربت على جسدها بحنان قائلة:

ـ لقد شهدت ولادتها.. لذا سماها أبى باسمى (نورما).. إننى أحيانًا لا آتى إلى المزرعة إلا من أجل رؤيتها.

مسح (ممدوح) بيده على رقبة المهرة قائلا:

ـ هل تعرفين أن لها مثل عينيك الوديعتين ؟

استأنفت (نورما) قيادة العربة، وبجوارها (ممدوح) الذى لاحظ وجود مبنى محاط بالأسوار، وقد أحكم إغلاق بابه المعدنى.. فسألها قائلا:

ـ لماذا يحيط والدك هذا المكان بالأسوار على هذا النحو ؟ إنه يتعارض مع الأراضى الشاسعة والمفتوحة التى تتألف منها المزرعة .

(نورما) :

ـ إنه معمل الأبحاث الخاص بوالدى .. وهو لا يسمح لأحد بالاقتراب منه أو دخوله سواه وعدد قليل من الأشخاص الذين يفهمون فى أمور الكيمياء والفيزياء .

سألها (ممدوح) بدهشة قائلًا :

ـ معمل أبحاث .

(نورما) :

ـ نعم .. ألا تعرف أن أبى متخرج من كلية العلوم بجامعة (أوتاوا) ؟

(ممدوح) :

ـ فى الحقيقة لم أكن أعرف أن والدك من المهتمين بذلك النوع من العلوم .

(نورما) :

ـ يمكنك أن تعتبره هاويًا .. فهو لم يعمل فى أى جهة علمية بعد تخرجه ، واتجه إلى الأعمال الحرة مباشرة بعد التخرج .. ولكنه أنشأ هذا المعمل الكبير خصيصًا لإشباع هوايته .. تمامًا كهوايتى للرسم . وقد تعوَّد عندما يأتى إلى

المزرعة ، أن يقضى ساعات طويلة فى هذا المعمل ، هو ونخبة من أصدقائه الذين يشاركونه هذه الهواية ، للقيام ببعض الأبحاث والتجارب .

قال (ممدوح) وهو يحاول ألا يبدى اهتمامًا كبيرًا :

ـ ترى ما نوع الأبحاث والتجارب التى يمارسونها فى هذا المكان ؟

(نورما) :

ـ لا أعتقد أنها تجارب وأبحاث تستحق اهتمامًا كبيرًا .. لقد قلت لك إنهم مجرد هواة .. وأعتقد أن ما يحملهم على التلاقى فى هذا المعمل وقضاء كل هذا الوقت معًا ، لا يعدو أن يكون محاولة منهم للتمتع بتسلية يحبونها ، وتذكر أيام الدراسة ، ومعامل الكلية التى تخرجوا منها .

(ممدوح) :

ـ ما رأيك لو قمنا بزيارة قصيرة لهذا المعمل ؟ فقد أثرت فضولى لرؤيته .

(نورما) :

ـ قلت لك : إن الاقتراب من هذا المكان محظور إلا بالنسبة لأبى وأصدقائه .. وهناك حراس أشداء يحيطون بالمعمل من الداخل ، مهمتهم منع أى شخص من الاقتراب منه .

(ممدوح) :

ـ حتى بالنسبة لك .

(نورما) :

ـ حتى بالنسبة لى .. إنه يقول إن المعمل يحتوى على مواد خطرة قد تتسبب فى إيذاء من يقترب منها .. ولهذا فهو يفرض حراسة مشددة حول المعمل .

(ممدوح) :

ـ أعتقد أن له حقًّا فى ذلك .

وتظاهر (ممدوح) بمشاهدة بعض أجزاء أخرى من المزرعة .. لكن ذلك المعمل لم يبرح تفكيره .

وعندما عادا بعد الجولة التى قاما بها فى المزرعة .. استقبلهما (ليون) قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ هل أعجبتك المزرعة ؟

(ممدوح) :

ـ إنها رائعة .. إلى حدّ أننى قررّت أن ألغى موعدى، وأبيت هذه الليلة هنا ، حتى تتاح لى فرصة مشاهدتها مرة أخرى صباح الغد .. هذا إذا كانت دعوتكما ما زالت قائمة .

بدت (نورما) سعيدة بهذا القرار .. فى حين قال (ليون) :

ـ على الرحب والسعة .. إننى سعيد لأنك غيرت رأيك ، وقررت أن تقضى الليلة معنا هنا .

(ممدوح) :

ـ هل تأذن لى باستخدام الهاتف .. حتى أخطر الشخص الذى كنت أواعده بتأجيل المعياد ؟

(ليون) :

ـ بالطبع .

واتصل (ممدوح) بأحد زملائه من إدارة العمليات الخاصة قائلًا :

ـ اسمع يا عزيزى .. إننا سنؤجل لقاء الليلة إلى الغد .. فسوف تضطرنى الظروف إلى المبيت خارج المدينة .. أرجو أن تبلغ سلامى إلى العمة (جوديث) .

وما إن أنهى المكالمة ، حتى قام زميله بالاتصال بإحدى السيارات التى كان يجلس فيها زميلان لـ (ممدوح) من العمليات الخاصة ، بوساطة اللاسلكى قائلًا :

ـ اسمعوا يا رفاق .. لقد اتصل بى(ممدوح) لتوه .. ويبدو أن هناك أمورًا قد جدت ، ستضطره إلى قضاء الليلة فى مزرعة (ليون) .

وهذا يقتضى أن تفتحوا أعينكم جيدًا ، وتكونوا جاهزين للتدخل السريع فى أى وقت ، فى حالة ما إذا تعرض (ممدوح) للخطر .

وفى المساء أوى (ممدوح) إلى فراشه مبكرًا، بعد الانتهاء من العشاء، وقد لاحظ أن (ليون) يتجنب الحديث معه، فى شأن العرض الذى قدمه له عن تجارة السلاح، أو أنه ما زال متشككًا بشأن هذا العرض .

وانتظر حتى مرت ساعتان بعد انتصاف الليل .. ثم غادر فراشه، وفتح باب حجرته فى هدوء .

كان من الغريب .. ألا يجد حارسًا واقفًا لدى باب حجرته .. ولكنه لم يشغل تفكيره طويلًا بهذا الأمر .. بل تسلل على أطراف أصابعه، ليهبط الدرج المؤدى إلى القاعة السفلية، وحاول أن يفتح باب المنزل .. لكنه وجده مغلقًا بوساطة شفرة إليكترونية ففتح النافذة ليقفز منها إلى الحديقة المحيطة بالمنزل .

لكنه لم يكد يخطو بضع خطوات داخل الحديقة، حتى فوجئ بضربة قوية على رأسه، جعلته يجثو على ركبتيه، وقد كاد يفقد الوعى، ونظر خلفه فوجد ذلك العملاق الأسود، الذى كان بصحبة (ليون) عند مرسى النهر .

وبدا بلون بشرته السوداء، والثياب السوداء التى يرتديها، غير واضح المعالم فى هذا الظلام، الذى لا ينيره سوى ضوء القمر .. لكن نظرته الحادة القاسية، التى كان يحدج بها (ممدوح)، كانت بالنسبة له أكثر ما يميزه .

وركل العملاق (ممدوح) ركلة قوية بمقدمة حذائه فى صدره، ألقت به على ظهره، ثم عاد فركله ركلة أخرى .. وهمَ بتسديد الثالثة .. لكن (ممدوح) أطبق بكلتا يديه على قدم الرجل .. وحاول أن يخل بتوازنه ليلقيه أرضًا، إلا أن العملاق الأسود، بقى ثابتًا دون أن يهتز، وقد ارتسمت ابتسامة وحشية على وجهه زادته دمامة .

وضغط بقدمه إلى أسفل محاولًا أن يضغط بها على صدر (ممدوح)، فى حين حاول الأخير وقد فشل فى أن يخل بتوازنه، أن يكتفى بمقاومته .. ومنعه من الضغط بحذائه على صدره .

وانتهز فرصة تركيز الرجل على استعراض قوته ومقاومة قبضتى (ممدوح) لقدمه .. وثقل جسمه الضخم .. ليركز هو على الساق الثابتة على الأرض للعملاق .

فوجه إليها ركلة قوية للغاية، استجمع فيها قوته، فبدت أشبه بركلة جواد جامح إلى ساق العملاق الثابتة .. فتألم الرجل بشدة .. على نحو اهتزت معه حركته .

وفى هذه المرة نجحت محاولة (ممدوح) .. وقد استغل تأثير ركلته القوية، فى أن يدفع بالساق الأخرى إلى الخلف، على نحو تمكن معه من الإخلال بتوازن العملاق الأسود ليسقطه أرضًا .

وكانت الفرصة الحقيقية لـ (ممدوح) فى أن ينهض قبل ذلك العملاق.. وقبل أن يتمكن من استعادة توازنه.. خاصة وقد تبين له مدى قوته .

وبالفعل انتزع (ممدوح) نفسه من فوق الأرض العشبية.. وسارع بتناول أحد أصص الزرع التى كانت تجاوره، فى اللحظة التى كان يرتكز فيها العملاق على مرفقيه محاولًا النهوض بدوره، وقبل أن ينجح فى ذلك كان (ممدوح) قد هوى بأصيص الزرع على رأسه، فتحطم وتناثرت شظاياه على وجهه .

وترنح العملاق من أثرالضربة، فعاد لينطرح على ظهره مرة أخرى .

وجثم (ممدوح) فوق صدره، وأخذ ينهال عليه بالكلمات حتى أفقده الوعى تمامًا .

ثم نزع عنه سترته الصوفية السوداء، وهو يقلبه على وجهه ليقيد بها يديه خلف ظهره .

واستخدم أحد كميها الذى مزقه ليكمم به فمه.. كما استخدم الكم الآخر فى تقييد قدميه .

وقام بجره فوق الأرض العشبية، ليخفيه بين مجموعة من الشجيرات الصغيرة .

ووقف يعيد تسوية شعره، وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ أرجو أن يكون هذا درسًا كافيًا لك، حتى تتوقف عن الشغب، وتبقى ساكنًا أطول وقت ممكن، حتى أنتهى من جولتى التفتيشية، ولو أثبت لى أنك ولد طيب فسوف أحضر لك معى بعض الحلوى .

واستطاع (ممدوح) أن يصل إلى مكان السور المحيط بالمعمل، بعد جهد شاق بذله فى الركض والتخفى .

ثم كمن وراء إحدى هذه الأشجار القريبة من السور، حيث استخدم مسدسًا من نوع خاص ليطلق منه عدد من المسامير الصلبة العريضة والتى يصل طول الواحد منها إلى عشرين سنتيمترًا فى جدار السور وعلى مسافات طولية متفاوتة بعضها فوق البعض .

وتلفت حوله جيدًا حتى تيقن من عدم وجود أحد.. ثم أسرع بالاندفاع نحو السور حيث استخدم المسامير المعدنية كسلم يصعد به إلى أعلى متسلقًا السور .

وما إن وصل إلى حافة السور، حتى قفز فوقه راقدًا على بطنه، وهو ينظر إلى أسفل بحذر .

وألقى نظرة إلى أسفل، فرأى حارسًا مسلحًا، يروح ويغدو بالقرب من السور.. فقرر أن يزحف على بطنه، حتى يصل إلى مكان يبعد عن موقع الحارس .

ولكن بينما هو يواصل الزحف، محاولًا الابتعاد قدر

الإمكان عن موقع الحارس، إذا به يلمح بعض الأسلاك الرفيعة تعترض طريقه وقد كادت أصابعه أن تلمسها .

فأبعد أصابعه سريعًا، وقد أدرك أن هذه الأسلاك متصلة بأجهزة إنذار .. تعمل بمجرد ملامستها .

وحمد الله أنه تمكن أن يرى هذه الأسلاك الرفيعة، برغم الظلام، وأن يبعد أصابعه عند ملامستها فى اللحظة الأخيرة .. وإلا انكشف أمره .

وعاد ليزحف إلى الخلف مرة أخرى، مبتعدًا عن هذه الأسلاك .. ولكنه لم ينسى أن ينظر وراءه بدقة وحذر هذه المرة .

وما لبث أن رأى مجموعة أخرى من الأسلاك الرفيعة، كادت تلامسها قدمه وهو يزحف إلى الخلف .. فتوقف عن الزحف وأيقن أن الجزء الوحيد الخالى من الأسلاك، هو مسافة المترين التى وثب إليها من حافة السور .. لذا اهتم (ليون) بترك حارس مسلح أسفلها، حتى يضمن تأمين هذا الموقع .

وربما كانت هناك مواقع أخرى على امتداد السور تفصل بينها تلك الأسلاك المتصلة بأجهزة الإنذار يوجد أسفلها حراس آخرون لتأمينها بأسلحتهم .

لكن المشكلة التى تواجهه الآن هى أنه لا يستطيع أن

يتقدم فوق السور أكثر من مسافة المترين، الخالية من وسائل الإنذار، كما أنه لو حاول الوثب من فوق السور إلى الأرض برغم ارتفاعه النسبى، فإن ذلك سينبه الحارس المسلح .. وسوف يقضى عليه بسلاحه فى الحال، قبل أن يستعيد توازنه من أثر القفزة .

ولم يعد أمام (ممدوح) سوى حلٍّ واحد، وهو أن يخاطر ويقفز فوق الحارس، برغم أن ذلك قد يجعل الحارس يطلق الرصاص من بندقيته الآلية بشكل عشوائى وتحت تأثير المفاجأة، مما لابد أن ينكشف معه أمره، ويجذب انتباه الآخرين .

ولم يكن هناك مجال للتردد أو التراجع؛ لذا فقد حسم (ممدوح) أمره بسرعة ..

وانقضَّ على الحارس .

* * *



١٢ ـ حوض الموت ..

سقط الحارس أرضًا تحت ثقل (ممدوح)، الذى اهتم بإزاحة البندقية الآلية عن متناول يده .

وسدد له لكمتين قويتين، جعلتاه يغيب عن الوعى تمامًا .. ثم تناول البندقية من على الأرض واتجه صوب المعمل .

ولكن قبل أن يصل إلى باب المعمل ، أحس بشيء صلب يلتصق بظهره ، رجح أنه فوهة مسدس مع ذلك الصوت الآمر الذى يقول :

ـ ألق هذا السلاح .. وضع يدك فوق رأسك، ثم استدر ببطء .

ولكن (ممدوح) لم يكن مستعدًا للاستلام، برغم المسدس المصوب إلى ظهره، بعد أن قطع هذا الشوط .. وأصبح قريبًا من هدفه .

فتظاهر بإطاعته الأمر الصادر إليه، وبأنه سيلقى بالبندقية التى استولى عليها، ولكنه باغت خصمه باستدارة سريعة، مسددًا ضربة قوية إلى فكه بمؤخرة

بندقيته وقبل أن يضغط غريمه على زناد المسدس ، كان قد أتبع هذه الضربة العنيفة بأخرى أسفل ذقنه ، جعلته يهوى على الأرض دون حراك ، وقد أفلت المسدس من يده .

وبحث (ممدوح) معه عن مفتاح المعمل .. ولكنه لم يعثر على أية مفاتيح .. بل وجد بطاقة ممغنطة ، رجح معها أن باب المعمل يفتح إليكترونيًا .

وبالفعل أدخل البطاقة الممغنطة فى فتحة صندوق صغير بجوار باب المعمل ، فانفتح على الفور حيث نفذ إلى داخله .

وعلى ضوء المصباح الضوئى الذى حمله معه، أخذ يتفحص محتويات المعمل الفسيح .

وما لبث أن توقف أمام الصندوق الزجاجى، الذى يحتوى على الأسطوانات المعدنية، حيث وجد ورقة صغيرة مثبتة على أحد جوانب الصندوق، وقد كتب عليها بالفرنسية «أبو الهول» .

وظل (ممدوح) مثبتًا الدائرة الضوئية المنبعثة من مصباحه على هذه الكلمة، وهو يتساءل عما تحويه هذه الأسطوانات.. والعلاقة بينها وبين عميله (أبى الهول) الغامضة .. دون أن يدرى أن هناك من يراقبه عن طريق دائرة تليفزيونية مغلقة .

وفجأة أحس بصوت ينبعث من خلفه فأطفأ ضوء مصباحه، وتراجع خطوتين إلى الوراء، وهو يبحث لنفسه عن مكان يختفى فيه .

ولكن، وبينما هو يتراجع إلى الوراء، إذا بأسطوانة بلاستيكية ضخمة، تنزلق فجأة من سقف المعمل فى سرعة خارقة، لتستقر قاعدتها على سطح أرض المعمل، ووجد (ممدوح) نفسه محاصرًا بداخلها .

وحاول (ممدوح) أن يخلص نفسه من هذا السجن، وأن يحطم جزءًا من هذه الدائرة الأسطوانية البلاستيكية دون جدوى .

فقد كانت مغلقة عليه بإحكام.. كما أن مادتها البلاستيكية كانت من نوع غير قابل للكسر وذات صلابة عالية .

ونظر (ممدوح) إلى أعلى، فوجد ماسورة معدنية تبرز من سقف المعمل، داخل الدائرة الأسطوانية التى أصبح سجينًا لها .

وسلط (ممدوح) ضوء مصباحه على هذا الأنبوب المعدنى، وهو يتساءل عما يكمن وراءه ولكن سرعان ما تملكته حالة من الاضطراب والقلق، وهو يرى غازًا كثيفًا ينبعث من فتحة الماسورة المعدنية .

وقبل أن يتبين حقيقة ما حدث له.. وجد نفسه يهوى

على الأرض داخل الدائرة الأسطوانية، غائبًا عن الوعى .

وأضىء نور المعمل فجأة، حيث تقدم (ليون) بداخله، ومعه عدد من أعوانه، وتوقف أمام الدائرة الأسطوانية وهو ينظر إلى (ممدوح) المغشى عليه بشماتة، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تشفٍ وهو يقول :

- هذه المرة ستكون نهايتك على يدى أيها الوغد نهايتك المحتومة .

★ ★ ★

استرد (ممدوح) وعيه، ليجد نفسه معلقًا من قدميه، وقد قيدت يداه خلف ظهره، فى حين تدلى رأسه إلى أسفل فى وضع عكسى .

لمْ يدر كم من الزمن مرّ عليه وهو على هذا الوضع.. ولكنه أحس بآلام شديدة فى رأسه وفى جمع أجزاء جسده .

وعندما ألقى نظرة إلى أسفل، وجد حوضًا كبيرًا به مادة غريبة الشكل، وقد بدت كما لو كانت تفور وتغلى بشدة.. وقد تصاعدت منها الأبخرة .

وحاول أن ينظر إلى أعلى، فوجد قدميه مكبلتين بسلاسل تتدلى من ذراع معدنية كبيرة.. تحركها آلة رفع وخفض، متصلة بعجلة ذات تروس، وبجوار هذه العجلة الرافعة رأسى (ممدوح) ذلك العملاق الأسود، الذى تصارع



استرد (ممدوح) وعيه، ليجد نفسه معلقًا من قدميه، وقد قيدت يداه خلف ظهره، فى حين تدلّى رأسه إلى أسفل..

معه ، وقد أمسك بالآلة الرافعة ، وهو ينظر إلى (ممدوح) وعلى وجهه تلك الابتسامة الوحشية .

وفجأة سمع صرير باب يفتح ، ثم رأى ساقين تتقدمان لتقف فى أسفل القاعة ، وعندما رفع رأسه المدلاة قليلًا ليتبين صاحبها ، وجد (جان ليون) وقد لحق به أحد أعوانه .

قال (جان ليون) ساخرًا :

ـ ما رأيك ؟.. هل أنت مستريح فى ذلك الوضع يا عزيزى ؟

رد عليه (ممدوح) بنفس السخرية ، برغم صعوبة الموقف.. وبرغم آلام جسده قائلًا :

ـ ما رأيك لو جربت بنفسك ؟

قال (ليون) دون أن يأبه لسخريته :

ـ تأكد أنك لن تفلت من الموت هذه المرة أيها المتطفل.. فبعد قليل ستكون رأسك قد فارقت جسدك ، عندما يدلى (جاك) السلسلة التى تكبل قدميك إلى أسفل.. فتنزلق تدريجيًا داخل هذا الحوض الذى يمتلئ بالأحماض الكاوية ، التى تعمل على إذابة الحديد والمواد المعدنية فتحولها إلى مادة سائلة منصهرة .

تخيل نفسك وأنت تأخذ حمامًا ساخنًا ، داخل هذا الحوض الملىء بالأحماض الكاوية التى تذيب الحديد .

ستجد رأسك وقد انصهر أولًا دون أن يبقى منه ما يدل على معالمه.. وبعدها يبدأ جسدك فى التحلل تدريجيًا، لتختفى تمامًا من الوجود.. طريقة فعالة للتخلص من الأشخاص غير المرغوب فيهم.. أليس كذلك ؟

وبرغم الرعب الذى تملك (ممدوح)، وهو يستمع إلى هذا الشرح من (ليون)، إلا أنه قرر ألا ينهار أمام غريمه، وبقى متماسكًا وهو يقول :

ـ فى الحقيقة.. أننى أشهد لك بالعبقرية فى ابتكار وسائل الموت والفناء. فمرة حاولت أن تدفننى حيًا.. ومرة أخرى تعد لى حمامًا دافئًا به أحماض كاوية، يبدو أن لك عقلية سادية مرضية، هى التى تدفعك إلى ابتكار هذه الوسائل.

(ليون) :

ـ أنت محق فى ذلك.. فأنا مشهود لى بالعبقرية.. لذا فأنا لا أقنع بوسائل الموت التقليدية.

أما أنت، فشخص غبى، لأنك ظننت أنك تستطيع أن تعترض طريقى، وتقحم ابنتى الوحيدة فى خططك للتسلل إلىَّ.. ثم تفلت بذلك.

نفس الغباء الذى جعلك تظن أننى سأقتنع بمسألة تجارة الأسلحة هذه، وبأن تكون وكيلًا لى فى الشرق الأوسط.. وهى وسيلة مكشوفة للتدخل فى أعمالى.

هل تريد أن أطلعك أنا على ما أعرفه عنك ؟ وما حاولت أن تخفيه عنى منذ البداية ؟

لا بأس، سأطلعك على ذلك قبل أن يتحلل جسدك، بوساطة المادة الكاوية، عندما كنت تمرح هنا فى المزرعة بصحبة ابنتى، طلبت من أحد الأشخاص أن يلتقط لك بعض الصور بوساطة كاميرا خاصة.

وقمت بإرسال هذه الصور إلى بعض الأشخاص المقربين لى.. ومنهم عرفت الحقيقة.. عرفت أنك المقدم (ممدوح عبد الوهاب) من إدارة العمليات الخاصة المصرية، أو ما تطلقون عليه المكتب رقم (١٩).

وبرغم أننى أعرف الهدف الذى من أجله أرسلك المسئولون فى بلدك، لكى تتحرى عنى، وتتجسس على أعمالى.. برغم أنه لا توجد صلة تربط بينى وبين الدولة التى تنتمى إليها.. إلا أننى لم أعد مهتمًا بمعرفة ذلك، قدر اهتمامى بالتخلص منك.. وهو الجزاء الذى يستحقه كل من يحاول التجسس على (جان ليون).

ويؤسفنى أننى لن أرسل جثتك إلى المسئولين الذين أرسلوك.. لأنه بعد إلقائك فى هذا الحوض، لن يتبقى منك جثة.

(ممدوح) :

- أعتقد أن أصدقاءك من مخابرات (أسترتان) هم الذين اطلعوا على الصور وعرّفوك شخصى .

(ليون) :

- لى أصدقاء فى كل مكان .

(ممدوح) :

- تقصد أصحاب مصالح خاصة، من النوع الذى يلحق أضرارًا بالآخرين.. ومن النوع الذى يمكنك أن تعرض خدماتك عليهم.. وتقوم لهم بدور العميل وعندما تعمل لحساب أصحاب مصالح خاصة من هذا الطراز، ستجد لك دائمًا أعداء من طرازى .

ضحك (ليون) قائلًا :

- تعجبنى شجاعتك.. من الغريب أن تجد فى نفسك القدرة على كل هذه الثرثرة ، فى الوقت الذى تقترب فيه من الموت .. ولم يعد يفصل بينك وبينه سوى متر واحد .

وأشار بيده إلى العملاق الأسود.. فقام الأخير بتحريك العجلة بوساطة الآلة الخافضة، لتتدلى السلسلة المعدنية التى تكبل قدمى (ممدوح)، والتى تتدلى من الذراع المعدنية بدورها تدريجيًا، حاملة جسده إلى الحوض.. حوض الفناء .

* * *

١٣ - عيون الشيطان ..

اقترب رأس (ممدوح) من الحوض. وأحس بالأبخرة المتصاعدة من المواد الكيميائية والأحماض، وهى تتصاعد إلى وجهه الذى تصبب عرقًا .

فصاح قائلًا :

- (ليون).. إنك ترتكب خطأ كبيرًا بقتلى على هذا النحو.. فلدى الكثير من المعلومات التى قد يهمك أن تعرفها .

ابتسم (ليون) قائلًا :

- معلومات عن ماذا؟.. تجارة الأسلحة فى الشرق الأوسط.. مثلًا.. اطمئن.. لدى خبرة واسعة فى هذا المجال .

وواصل العملاق الأسود تحريك العجلة الخافضة، لتتدلى السلسلة المعدنية أكثر، فى حين قال (ممدوح) وقد احتقن وجهه من شدة الحرارة المنبعثة من الحوض قائلًا :

- بل عن العملية السرية التى تدبرها بمعاونة المخابرات الأسترتانية .

بدا (ليون) مهتمًا بعض الشىء بما قاله (ممدوح).. ولكنه عدل عن هذا الاهتمام قائلًا :

- لا تحاول كسب المزيد من الوقت بهذه الادعاءات.. فليست لديك أية معلومات على أى شىء.. ولا وجود لأية عملية سرية تدبر كما تدعى .

قال (ممدوح) وقد أصبح يفصل بين رأسه وبين الأحماض الموجودة فى الحوض بضعة سنتيمترات قليلة :

- بل إننا نعرف أن المخابرات الأسترتانية، قد أسندت لك تنفيذ عملية، تهدف إلى الاضرار بأمن (مصر)، وأنك قد اخترت لها اسمًا شفريًا هو عملية أبى الهول.. من أجل هذا أنا هنا .

وفى هذه المرة، ظهرت على وجه (ليون) ملامح الاهتمام الحقيقى.. فأشار بيده للعملاق الأسود لكى يتوقف عن الاستمرار فى إدارة العجلة.. ففعل ذلك مكرهًا ثم قال (ليون) بعد برهة من الصمت :

- وما الذى تعرفه أجهزتكم عن هذه العملية ؟

قال (ممدوح) الذى جحظت عيناه.. وأخذ العرق يتصبب منه غزيرًا، وشعر رأسه يكاد يلامس الأحماض :

- لا تتوقع منى أن أخبرك عن كل شىء، قبل أن تحررنى

من هذه القيود التى تكبلنى، وتبعدنى عن حوض الموت هذا .

همس الرجل الذى يقف بجوار (ليون) :

- من الأفضل أن نتعرف ما لديه من معلومات.. فقد يفيدنا هذا حتى لا نعرض العملية للخطر .

(ليون) :

- ولكن هذا الرجل يمثل خطرًا حقيقيًا .

ورد عليه مساعده قائلًا

- إنه فى قبضتنا، ولن نعدم الوسيلة للتخلص منه، بعد أن يطلعنا على ما لديه من أسرار .

قال (ليون) لـ (ممدوح) :

- حسن.. أيها المقدم.. يبدو أن لك سبعة أرواح مثل القطط حقيقة فقد نجوت من الموت هذه المرة أيضاً.. ولكنى لا أنصحك أن تعتمد على ذلك دائمًا.. فلو لم تكن لديك معلومات مفيدة حقيقة، فسوف أحرص على أن تكون نهايتك القادمة أشد قسوة وإيلامًا .

وأمر العملاق الأسود بأن يرفع السلسلة الحديدية التى تكبل (ممدوح)، ثم يحرره من قيده، ويأتى به إليه .

وأطلق (ممدوح) زفرة قصيرة والسلسلة التى ترتفع به إلى أعلى، غير مصدق أنه قد نجا من الموت. فى هذه المرة أيضا .

وقام العملاق الأسود بتحرير (ممدوح) من قيده ، وهو يتميز غيظًا .. فقد كان سعيدًا لأنه سيسهم فى القضاء على ذلك الرجل ، الذى تغلب عليه وأذاقه لكماته .

وأخذ (ممدوح) يحرك يديه وقدميه ، محاولًا التخفيف من الآلام التى لحقت بها ، وقد قيد على هذا النحو المؤلم ، وهذا الوضع الشديد الصعوبة .

ولكن برغم الآلام الشديدة التى كان يشعر بها فى يديه وقدميه وأجزاء متفرقة من جسده ، إلا أن هذا لم يجعله يتخلى عن روح الدعابة التى يتميز بها .

فابتسم فى وجه العملاق وهو يلوح له قائلًا :

ـ مرحبًا يا (جاك) .. يؤسفنى أننى حرمتك من أمنية غالية كنت تتمناها ، وهى التخلص منى .. وأنا واثق أنك كنت تؤدى عملك بسعادة وإخلاص . ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. وثق أننى سأعمل على ألا أحقق لك أمنيتك أبدًا .

استشاط العملاق غضبًا وهو يدير (ممدوح) ، ليدفعه فى ظهره بقوة أمامه حتى سلَّمه لاثنين من الحراس المسلحين الأشداء .. قائلًا :

ـ ألقوا بهذا الرجل فى القبو حتى يستدعيه مسيو (ليون) .

أطاع الرجلان ما أمرهما به العملاق الأسود .. فاقتاد (ممدوح) إلى قبو صغير ، لا يسمح للشخص إلا بالجلوس دون الوقوف .. بالقرب من المعمل ، حيث دفعوا بـ (ممدوح) إلى داخله مغلقين بابه عليه .

وأسند (ممدوح) ظهره إلى جدار القبو وهو يفكر فى وسيلة للنجاة .

فقد تمكن من إنقاذ نفسه مؤقتًا .. ولكن سرعان ما يكتشف (ليون) أنه لا توجد لديه من معلومات حقيقية وكافية بشأن عملية (أبى الهول) .. وأن كل ما توافر لديه من معلومات جديدة ، هو رؤيته لذلك الصندوق الزجاجى الذى يحوى تلك الأسطوانات المعدنية .

وعند ذلك لن يتقاعس عن قتله ، والتخلص منه إلى الأبد .

وبعد نصف ساعة حضر ثلاثة من الحراس المسلحين ، ليقتادوه إلى المعمل ، حيث التقى بـ (ليون) واقفًا ، ومعه عدد من مساعديه .. وقد عقد يديه خلف ظهره ، وسأله قائلًا :

ـ والآن .. ستخبرنى .. ما الذى تعرفونه عن عملية (أبى الهول) ؟

بحث (ممدوح) فى ذهنه عما يقوله .. فلم يجد شيئًا

سوى تلك الأسطوانات المعدنية التى رآها فى المعمل .

فقال له :

- نعلم أنك تحتفظ فى معملك بمجموعة من الأسطوانات المعدنية التى تحتوى على مواد خطرة .. تنوى استخدامها ضد وطننا .

(ليون) :

- أهذا هو كل ما تعرفه عن عملية (أبى الهول) ؟

(ممدوح) :

- نعم .

(ليون) :

- ألم يخبرك أحد عن طبيعة هذه المواد الخطرة التى أنوى استخدامها ؟

(ممدوح) :

- لهذا أنا هنا .

أطلق (ليون) ضحكة قصيرة ، وهو ينظر إلى (ممدوح) قائلًا :

- تعجبنى صراحتك .. ولكنك وصلت إلى نصف الحقيقة فقط يا سيادة المقدم .

قال له (ممدوح) :

- يسعدنى أن أسمع منك الحقيقة كاملة .

تعالت ضحكة (ليون) وهو يقول :

- هل تريد أن أقدم لك شرحًا وافيًا عن العملية التى أنوى تنفيذها ضد بلادكم ؟

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلًا :

- حسن .. ولكن عليك أن تصلح من هندامك أولًا .. ثم تأتى معى المنزل لتلتقى بابنتى .. فهى قلقة عليك .. لأنها لم تجدك فى غرفتك ، ولا فى أى مكان فى المنزل .. وتظن أننى قد ألحقت بك ضررًا .. كما تصرّ على ألا تبارح المزرعة قبل أن تتأكد من سلامتك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

- ما رأيك لو أخبرتها أننى كنت على وشك الاستحمام ، داخل حوض من الأحماض الكيميائية التى تذيب الحديد ؟

اربدّ وجه (ليون) وهو يقول :

- لو أخبرتها بذلك لقتلتك فى الحال ودون تردد .

(ممدوح) :

- هل ستقتلنى بالوسائل التقليدية ؟ أم ستستعرض المزيد من وسائلك المبتكرة فى القضاء على الآخرين ؟

قال له (ليون) بغضب :

- اسمع أيها الرجل .. ستأتى معى إلى المنزل لتخبر ابنتى .. بأنك قد صحوت مبكرًا ، وشعرت بالرغبة فى

التجول على قدميك فى أرجاء المزرعة .. وأنك قد ابتعدت قليلًا .. مما جعلك تتأخر فى العودة إلى المنزل ، وبعد ذلك ستقول لها إنك مضطر لمغادرة المزرعة لأمر هام .. وإذا عرضت عليك أن ترحل معك ، فسوف تخبرها بأنك لا تستطيع الانتظار .

و سأقترح تكليف أحد رجالى بتوصيلك بإحدى سياراتى .. فتوافق فى الحال .. ودون أن تمنح ابنتى فرصة للمعارضة .

(ممدوح) :

ـ وبالطبع لن تسمح لى بمغادرة المزرعة مطلقًا .. وإنما ستتظاهر بذلك لكى تضمن أن ابنتك لن تشك فى الأمر ، وفى أن أباها قد تنازل عن توبته التى أعلنها أمامها ، عن إلحاق الأذى بالآخرين ، والتخلص منهم بوسائل مبتكرة بعدها سيسهل عليك التعامل معى ، وإخبارها بأى شىء يبرر اختفائى ، فابنتك هى نقطة ضعفك الوحيدة .. أليس كذلك ؟

وابتسم (ليون) ابتسامة صفراء وهو يقول :

ـ إننى سأضطر إلى التنازل عن نعتك بالغباء .. فيبدو أنك شخص ذكى .. غير أن ذكاءك قد خانك ، حينما تصورت أن ابنتى يمكن أن تكون نقطة ضعف ضدى ، فلا شىء

يضعف (جان ليون) ، أو يحول بينه وبين الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ، حتى لو كان هذا الشىء هو ابنته .

كل ما هنالك أننى أبذل أقصى جهدى ، لكى أبقى فى نظرها أبًا مثاليًا .

والآن .. هيا .. أعد نفسك للذهاب إلى المنزل .. وكن حريصًا فى كل تصرفاتك وأفعالك .. فعيناى ستراقبانك جيدًا .. جيدًا جدًا .





١٤ ـ الخطة المرعبة ..

استقبلت (نورما) (ممدوح) بابتهاج قائلة :

ـ حمدًا لله أنك بخير .

هز (ممدوح) كتفيه قائلًا :

ـ أشكرك على هذا الاهتمام الذى لا أستحقه من حسناء مثلك .

(نورما) :

ـ أين كنت ؟.. لقد ظننت أنه قد وقع لك مكروه .

(ممدوح) :

ـ لقد فكرت فى القيام بجولة صباحية فى أرجاء المزرعة .. ويبدو أن مزرعة أبيك شاسعة على نحو كدت أن أضل معه الطريق .

وفى تلك اللحظة دخل (ليون) من باب جانبى قائلًا :

ـ أعتقد أنك قد اطمأننت الآن على صديقك .. لقد كانت تظن أننى قد ألحقت بك الأذى .

ابتسم (ممدوح) قائلًا وهو يمسك بذراع (ليون) ، وكأنهما صديقان ، ليقوده إلى إحدى الأرائك جالسًا بجواره :

ـ يؤسفنى أن تسيئى الظن بأبيك على هذا النحو .

(نورما) :

ـ ولكن ...

قاطعها (ممدوح) قائلًا :

ـ إذا كنت تقصدين حادثة البئر والمقبرة .. فهذا أمر قد انقضى .. لقد تجاوز رجال أبيك حدود الأوامر الصادرة إليهم .

أما الآن فقد أصبحنا أصدقاء .. كما أننا اتفقنا على كل شىء بشأن تسوية الديون الضريبية التى تدينه بها الدولة .. أليس كذلك يا عزيزى (ليون) ؟ وارتسمت ملامح السعادة على وجه الفتاة وهى تقول :

ـ يسعدنى أن أسمع ذلك .

ثم اندفعت لتجلس على حافة الأريكة بجوار أبيها ، وهى تحيط عنقه بذراعها قائلة :

ـ يؤسفنى أننى أسأت الظن بك يا أبى .

قال (ممدوح) لنفسه :

ـ مسكينة هذه الفتاة .. لو تعلم أى شيطان هو أبوها ؟

وقال لها (ليون) وهو يبعدها عنه بلطف ، وقد بدا مكفهرًا من الطريقة الساخرة التى يتحدث بها (ممدوح) :

ـ حسن يا عزيزتى .. لقد غفرت لك .

ونهض مستطردًا وهو ينظر إلى (ممدوح) :
ـ على كلّ سأكون فى انتظارك بمكتبى ، للاطلاع على السجلات الضريبية الجديدة ، وإيصالات السداد يا مسيو (أندرو) والآن .. كنت قد أخبرتنى بأنك ترغب فى الانصراف .. أليس كذلك ؟
نهض (ممدوح) بدوره قائلًا وهو ينظر إلى (نورما) :
ـ آه .. فى الحقيقة يتعين علىّ الانصراف الآن .. فأعمالى الهامة لم تعد تستطيع الانتظار أكثر من ذلك .
(نورما) :
ـ انتظر حتى أوصلك بسيارتى .
(ليون) :
ـ لا داعى لذلك سآمر بتوصيله بإحدى سياراتى .
(نورما) :
ـ ولكن لم يعد هناك ما يدعو إلى بقائى فى المزرعة .
(ليون) :
ـ إنك لم تقضى هنا سوى ليلة واحدة ، ولم تتح لنا الفرصة لنتحدث معًا بعد .
(ممدوح) :
ـ فى الحقيقة كان بودى أن أكون فى صحبة حسناء

مثلك ، غير أننى متعجل وأرغب فى الرحيل فورًا .
(نورما) :
ـ ألن نلتقى مرة أخرى ؟
(ممدوح) :
ـ بالطبع .. سأكون سعيدًا لو التقيت بك مرة أخرى .
(ليون) :
ـ السيارة جاهزة فى انتظارك .
صافح (ممدوح) الفتاة قائلًا :
ـ وداعًا يا عزيزتى (نورما) .
صافحته وهى تضغط على يديه بحرارة قائلة :
ـ بل قل إلى اللقاء .
واصطحب (ليون) (ممدوح) إلى باب المنزل .. لكن قبل أن يدركه التفت إليها قائلًا :
ـ أريد منك أن تودعينى حتى أنصرف .. سأستمر فى التلويح لك حتى تغادر السيارة بوابة المزرعة .. ألديك منظار مقرِّب ؟
استغربت (نورما) لهذا الطلب الغريب الذى يطلبه منها (ممدوح) .. ولكنها أجابته قائلة :
ـ نعم .
(ممدوح) :

ـ إذن راقبينى حتى أنصرف .. فسوف يسعدنى هذا .

وكان (ممدوح) يهدف من ذلك أن يضمن مغادرة السيارة التى تحمله بوابة المزرعة ، تحت سمع وبصر الفتاة .. وحتى لا يعمل (ليون) على احتجازه بطريقة ما دون أن تغادر السيارة البوابة .

فقد قدر أنه سيكون من الأسهل له .. التعامل مع أعوان (ليون) خارج المزرعة ، عن التعامل معهم داخلها .

وبرغم أن (ليون) قد فوجئ بهذا الطلب المباغت من (ممدوح) .. وإصراره على أن تراقب ابنته رحيله من المزرعة .. إلا أنه تظاهر بعدم الاهتمام بهذا الأمر ، مقدرًا أن (ممدوح) سيبقى فى قبضته ، سواء داخل المزرعة أو خارجها .. وأنه بعد أن تنتهى ابنته من توديع (ممدوح) والاطمئنان إلى رحيله .. فسوف يقوم بإعادته مرة أخرى لحسم الأمر بالنسبة له .

وبالفعل غادر (ممدوح) المزرعة فى سيارة (ليون) ، حيث وجد (جاك) ومعه شخص آخر واقفين بجوار البوابة من الخارج .. وما إن عبرت السيارة البوابة حتى توقف بها سائقها ، فى حين قام الرجلان بفتح أبوابها من الجانبين ، وقد جلس العملاق الأسود عن يمينه ، فى حين جلس الآخر عن يساره ، وقد وضع فوهة مسدسه بالقرب من ضلوع (ممدوح) .

وبرغم المفاجأة والسرعة التى تم بها تنفيذ ذلك ، إلا أن (ممدوح) ابتسم قائلًا :

ـ مرحبًا يا (جاك) .. أتنوى القيام بنزهة معى ؟

قال الرجل وهو يطبق بأصابعه على عنق (ممدوح) من الخلف ، شاهرًا مديته فى وجهه :

ـ أقفل فمك .

ونظر إلى السائق قائلا :

ـ استدر بسيارتك عائدًا إلى المزرعة .

(ممدوح) :

ـ إننى لم أستمتع طويلًا بنسيم الحرية .

شدَّد العملاق الأسود من ضغط أصابعه على عنق (ممدوح) قائلًا :

ـ قلت لك أقفل فمك .

قال (ممدوح) متألمًا دون أن يتخلى عن روح الدعابة التى تميزه :

ـ حسن .. حسن .. سأفعل .. لم أكن أدرى أنك عصبىّ هكذا .

وفى تلك اللحظة ، وبينما كان السائق يتأهب للاستدارة بسيارته عائدًا إلى المزرعة ، اعترضت طريقه سيارة أخرى ، وقفت بالعرض أمام مقدم السيارة التى يقودها .

وأطلق السائق نفير سيارته لكى تبتعد السيارة التى تعترض طريقه . ولكن أحد راكبيها غادرها وهو يشير للسائق قائلًا :

ـ يبدو أن لدينا عطلًا فى السيارة .

قال (جاك) لزميله :

ـ غادر السيارة لتنظر فى الأمر .

قال زميله وهو ينظر إلى (ممدوح) :

ـ ولكن .

(جاك) :

ـ لا تخش شيئًا ونفذ ما أقوله لك .

وكان (ممدوح) قد تعرَّف الشخص الذى غادر السيارة ، فهو زميله (عزت) ، فاطمأن نوعًا ما .

وقال زميل (جاك) للرجل :

ـ لماذا لا تبعد هذه السيارة اللعينة عن الطريق ؟

قال (عزت) :

ـ لقد أصلحت العطل على كل حال .. لحظة واحدة .. حتى أدير المحرك .

وركب السيارة بجوار شخص آخر كان يجلس أمام عجلة القيادة قائلًا :

ـ يمكنك أن تتحرك الآن .

وأدار الرجل محرك السيارة ، فى حين وقف زميل (جاك) يراقبهما .

وفجأة اصطدم مؤخر سيارته فى عنف ، بمقدم السيارة التى يستقلها (ممدوح) وأدت هذه الصدمة إلى الإخلال بتوازن راكبيها .. فابتعدت مدية (جاك) عن عنق (ممدوح) .. وكذلك أصابعه التى كان يطبق بها عليه من الخلف .. فى حين اصطدمت جبهة السائق بعجلة القيادة .

وانتهز (ممدوح) الفرصة ليسدد ضربة قوية بكلتا يديه على مؤخرة رأس (جاك) ثم فتح باب السيارة قافزًا إلى الخارج .

وكان زميل (جاك) قد لاحظ الاصطدام المتعمد ، الذى قام به زميل (ممدوح) بسيارته فسارع بإخراج مسدسه من جرابه وهو يصوبه فى اتجاه قائدها .

لكن الأخير كان أسرع منه فى تناول مسدسه ، وإطلاق طلقة سريعة مخدرة بلا صوت ، إلى ذلك الشخص ، فسقط على الأرض مخدرًا فى الحال .

وفى نفس اللحظة كان (عزت) قد غادر سيارته ، وقد حمل بدوره مسدس التخدير ليندفع فى اتجاه السيارة التى يستقلها (ممدوح) ، حيث صوب طلقة سريعة إلى السائق فجعله يغيب عن الوعى .

وقبل أن يلجأ (جاك) لاستخدام مسدسه ، كان (عزت) قد فتح باب السيارة ، واستقر بجواره ، وهو يلصق فوهة المسدس بجبهته قائلًا :

ـ إياك أن تقدم على أية حركة طائشة .

وكان (ممدوح) قد نهض من الأرض ، وعاد ليجلس بجوار (جاك) ، حيث مد يده داخل سترته ليخرج مسدسه الذى كان ينوى استخدامه قائلًا :

ـ دعك من مسدس التخدير هذا (ياعزت) .

وألصق فوهة المسدس بجبهة (جاك) قائلًا :

ـ فأمثاله يستحقون القتل بمسدس حقيقى .

وضغط بفوهة المسدس على جبهة(جاك) مشتطردًا :

ـ وداعًا يا (جاك) .. تأكد أنك سترحل عن هذه الدنيا غير مأسوف عليك .

وصرخ (جاك) متوسلًا :

ـ لا .. أرجوك .. لا تقتلنى .

(ممدوح) :

ـ الآن تطلب الرحمة .. ومنذ وقت قصير كنت تسعى إلى قتلى فى حوض ملىء بالأحماض .

(جاك) :

ـ كنت أنفذ أوامر مسيو (ليون) .

(ممدوح) :

ـ بل كنت تؤدى عملك بأستمتاع ينم عن مدى قسوتك ووحشيتك ، على كل حال يمكننى أن أمنحك فرصة للحياة ولا أضغط على زناد هذا المسدس ، لو قلت لى ما هو الهدف النهائى من عملية (أبى الهول) .

ارتجف (جاك) قائلًا :

ـ ولكن ...

قال (ممدوح) وهو يحرك أصبعه على الزناد :

ـ حسن هأنت تضيع فرصتك .

عاد (جاك) ليتوسل إليه قائلًا :

ـ أرجوك .. انتظر .. سأخبرك بكل شىء .

عملية (أبى الهول) تهدف إلى تحويل المحاصيل الزراعية المصرية إلى محاصيل حاملة لمواد إشعاعية تؤدى إلى الإصابة بالسرطان .

هتف (ممدوح) وقد علت الدهشة وجهه هو وزميلاه :

ـ ماذا ؟

(جاك) :

ـ لقد قدمت المخابرات الأسترتانية لمسيو (ليون) تلك المواد المشعة ، التى تؤدى إلى زرع الخلايا السرطانية .. ليقوم بتعبئتها فى كبسولات أو طلقات من نوع خاص . ثم يتولى تهريبها إلى (مصر) عن طريق عملائه فى تنظيم خاص يعمل لحسابه .

ويتولى أعضاء هذا التنظيم أيضًا ، تركيب هذه الطلقات داخل قاذفات خاصة ، ثم يحملونها فى سياراتهم ويجوبون بها الأراضى الزراعية المصرية فى مختلف المحافظات هناك ..

وفى الأماكن التى يختارونها بعيدًا عن أعين الآخرين ، يبدءون فى استخدام القواذف التى يحملونها فى إطلاق كبسولاتهم لتخترق تربة الأرض الزراعية المصرية ، حيث تبدأ فى نشر المادة الإشعاعية المسببة للسرطان فى تربة الأرض ، لينتقل بدوره إلى المحاصيل الزراعية التى تطرحها الأرض .. وبالتالى نقل هذا المرض الخطير إلى السكان الذين يتناولون طعامهم من هذه المحاصيل .

هتف (ممدوح) وقد بدا عليه الانزعاج :

ـ خطة شيطانية .. تهدف إلى تحويل شعب بأكمله إلى شعب مريض بمرض من أخطر الأمراض ، ولكنها تحتاج إلى جهد غير عادى فى تنفيذها .

(جاك) :

ـ ليس على النحو الذى تتصوره .. فكبسولة واحدة من هذه المواد المشعة كافية لتلويث مائتى فدان بالمادة المشعة .. ونقلها إلى المحاصيل التى تفرزها هذه الأفدنة .

نظر (ممدوح) إلى زميله قائلًا :

ـ (عزت) .. احمل هذا الرجل إلى سيارتك .. وأنت يا (رءوف) تعال معى .. يجيب أن نوقف هذا المخطط الشيطانى فورًا ، وبلا إبطاء .

وعادت السيارة التى كانت مزودة بنوافذ زجاجية معتمة لا تكشف من بداخلها إلى المزرعة .. حيث ارتدى (رءوف) ملابس السائق .. فى حين جلس (ممدوح) فى الخلف وبدلًا من أن تتجه السيارة لتقف بجوار المنزل ، أشار (ممدوح) لصديقه لكى يتجه بها نحو المعمل .

وكان (ليون) واقفًا بجوار السور المحيط بالمعمل ، ومعه اثنان من معاونيه فى انتظار حضور السيارة .. حيث ابتسم لدى رؤيتها قائلًا :

ـ هاهو ذا صديقنا قد عاد .. الآن يمكننا أن ننتهى من أمره .

ولكن السيارة توقفت بجوارهم ليغادرها (ممدوح) وزميله ، شاهرين سلاحهما فى وجوه (ليون) ومعاونيه الذين بوغتوا برؤيتهما .

قال له (ممدوح) :

ـ ماذا بك يا عزيزى (ليون) ؟ لماذا تبدو مشدوهًا هكذا ؟ أكنت تظن أننى سآتى رافعًا يدىَ إلى أعلى ، وخلفى خادمك الأسود مصوبًا سلاحه إلى ظهرى ؟

قال (ليون) (لممدوح) :

ـ لا تنس أنك ما زلت فى مزرعتى ، من الأفضل أن تخفض مسدسك وتتوقف عن هذه الألعاب الصبيانية ، وإلا مزقك رجالى إربًا .

وحاول أحد أعوان (ليون) إخراج مسدسه .. لكن (رءوف) سارع بإطلاق رصاصة من مسدسه الكاتم للصوت على يد الرجل ، فأصابه وجعل المسدس يسقط منه

وقال (ممدوح) (لليون) :

ـ هأنت ترى أننى وصديقى لا نهزل .. ولا نمارس الألعاب الصبيانية .. إن لدينا أسلحة حقيقية .. كما أن لدينا استعدادًا لقتلك أنت ومن معك إذا لم تطع أوامرنا .. وتنفذ ما أقوله لك .

(ليون) :

ـ ماذا تريد ؟

(ممدوح) :

ـ أن تأتى معى إلى ذلك المعمل ، وتطلب من حراسك الأشداء ، نقل الصندوق الزجاجى الذى يحوى الأسطوانات المشعة إلى هذه السيارة .

ثم ترافقنا فى رحلتنا إلى خارج المزرعة .

(ليون) :

ـ ستندم على ذلك .

(ممدوح) :

ـ فلندع الندم لما بعد .. ولتنفذ الآن ما آمرك به .

أطاع (ليون) أوامر (ممدوح) فاصطحبه إلى الداخل .. حيث أمر الحراس بحمل الصندوق الزجاجى الذى يحوى الأسطوانات المشعة إلى السيارة .

وحاول أحد الحراس استخدام سلاحه ، فعاجلـه (ممدوح) برصاصة محكمة قضت عليه فى الحال .. وقبل أن يلجأ الحارس الآخر إلى استخدام سلاحه وجد (ممدوح) وقد عاد للصق فوهة مسدسه بمؤخرة رأس (ليون) قائلًا :

ـ يبدو أن لديك حراسًا مستعدين للتضحية بحياتك .

هتف (ليون) فى الحارس :

ـ توقف عن هذا وألق سلاحك .

نفذ الحارس ما أمره به (ليون) .

وانطلق (ممدوح) بالسيارة وقد جلس فى المقعد الخلفى ، وبجواره الصندوق الزجاجى ، بينما جلس (ليون) فى المقعد الأمامى بجوار (رءوف) الذى قام بقيادة السيارة ، وصوب (ممدوح) مسدسه إلى رأس (ليون) متجاهلًا صفارات الإنذار التى أخذت تدوى فى

المكان ، وعشرات الرجال الذين بدءوا فى إشهار أسلحتهم محاولين اللحاق بالسيارة واعتراضها .

وقدم (ممدوح) (لليون) مكبرًا صغيرًا للصوت قائلًا له :

ـ يبدو أنه من الأفضل أن تطلعهم على حقيقة الأمر بنفسك .

صاح (ليون) فى مكبر الصوت قائلًا :

ـ أيها الأغبياء ، لاتعترضوا طريق السيارة ، ولا تطلقوا الرصاص ، فمعنا حمولة من المواد المشعة ، التى يمكن أن تؤدى إلى إهلاكنا جميعًا .

تردد الرجال المسلحون لحظة .. ثم ما لبث هذا التحذير أن أتى بمفعوله . فأخذوا يهرولون مبتعدين عن طريق السيارة .. وقد أصابتهم حالة من الفزع ، وأمر (ليون) القائمين على البوابة بفتحها .. فسارعوا بتنفيذ الأمر . وفى الخارج وجدوا عشرات من سيارات الشرطة تحاصر المكان .. بينما أخذت ثلاث طائرات هليكوبتر تحلق فوق المزرعة .

واستقبل أحد ضباط الشرطة الكندية (ممدوح) قائلًا :

ـ لقد اتصل بنا زميلك فحضرنا على الفور .. هل الأمر ينطوى حقًّا على هذا القدر من الخطورة الذى أخبرنا بها ؟!

(ممدوح) :

ـ نعم .. هذه السيارة تحتوى على صندوق به مواد مشعة تكفى لإصابة شعب بأكمله بمرض السرطان .

أطلت من عين الضابط نظرة فزع وهو يستمع إلى هذا ، فى حين أردف (ممدوح) قائلًا :

ـ وبها أيضًا واحد من أخطر مجرمى القرن العشرين ، وهو المدعو (جان ليون) .

اندفع رجال الشرطة يحاصرون السيارة .. وقد اقتيد (ليون) خارجها مكبلًا بالأغلال .

ولمح (ممدوح) ابنة (ليون) واقفة إلى جوار سيارتها ، وهى تنظر إلى ما يحدث غير مصدقة ، فاقترب منها قائلًا بلهجة حانية :

ـ آسف .. لم يكن من الممكن أن أشرح لك كل شىء فقد كانت مهمة سرية ودقيقة ، كما يؤسفنى أن أقول لك ، إن والدك كان يستحق هذه النهاية ، وستعرفين ذلك عندما تطلعين على كل التفاصيل .

انحدرت عبرة من عينى الفتاة .. ثم ما لبثت أن أجهشت بالبكاء ، ولم يجد (ممدوح) ما يقول لها .. ولكنه كان يقدر موقفها جيدًا .

التف (عزت) و (رءوف) حول (ممدوح) وقال له (عزت) :

ـ أعتقد أن مهمتنا قد انتهت .

(ممدوح) :

ـ نعم .. فلنعدّ أنفسنا للعودة إلى (القاهرة)

ونظر إلى (رءوف) قائلًا :

ـ اتصل باللواء (مراد) قبل أن نسافر ، وأخطره أن العملية قد كللت بالنجاح .. وأننى سأسلم له التقرير الذى يحوى التفاصيل غدًا .

تفاصيل عملية (أبى الهول) .



[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

المؤلف



أ . شريف شوقى

سر أبى الهول

ومرت الثوانى وكأنها دهور على (ممدوح) .. وكان عليه أن يحمى وجهه وذراعيه من انفجار الديناميت، فعمد إلى دفع رأسه لتغوص بين الأتربة أملًا فى أن تحميه من الانفجار .

٦٤

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

أشعة الظلام

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم

٢١٢٩